

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار

كتاب

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار

تأليف

خاتمة المحققين وقدوة أهل الرسوخ واليقين
سيدنا وسندنا المولى الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة
البعقلي السوسي أصلا البيضاوي وطنا
متع الله بعلومه المسلمين والإسلام
أمين

الطبعة الثالثة - تونس 1440 هـ / 2018 م

-3 -

الكتاب:

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار

المؤلف

الحاج الأحسن البعقلي

الطبعة الثالثة - تونس 1440 هـ

جميع الحقوق محفوظة

ر. د. م. - ك: ISBN: 9789973053190

تونس

1440 هـ / 2018م

إهداء

بسم الله الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ.

الحمد لله قبل كلّ أحد

الحمد لله بعد كلّ أحد

الحمد لله على كل أحد

إلى روح سندنا وقدوتنا فريد عصره وأعجوبة دهره حَبْر
الأمّة سيدنا الحاج الأحسن بن محمد بن أبي جماعة البعقلي.

إلى روح من كان سببا في نشر علومه وأسراره في ربوع
تونس الخضراء تلميذه الأبر العارف الكامل، مربّي الأجيال،
شيخنا وقدوتنا سيدي الحاج محمد بن إبراهيم القماري البعقلي.

إلى شيخنا، قرة أعيننا، المجاهد في سبيل الله تعالى
بالحال والمقال، الرجل الذي لا يزال يربينا بسر السر، مَنْ
أكملت فيه صفات العلم الذي أمرنا رسول الله ﷺ ألا نجلس

إلا إليه بقوله: ((لا تجلسوا مع كلِّ عالمٍ إلا مع عالمٍ يدعوكم من
خمسٍ إلى خمسٍ من الشُّكِّ إلى اليقين ومن العداوة إلى النصيحة
ومن الكبر إلى التواضع ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى
الرَّهبة))¹ مولانا الحاج محمد الكبير أبو عقيل فالله هو الذي
يجازيه بما هو أهله ونحن نطلب من الله أن يبارك لنا في علومه
الربانية. آمين. والله من وراء القصد.

الحاج الحبيب بن حامد

مقدم الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

لطف الله به في الدارين آمين

¹ الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم:

بسم الله الرحمان الرحيم

(وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليماً)
الحمد لله الذي هدى إليه من استهداه ونصر على
جيوش النفوس من اجتباه وأرشد كرائم الأرواح لثبات جلاله
وأوقفها بين يديه لإفاضة جماله الفاعل المنفرد المختار الحاكم
بفضله وعدله على فاعل الاضطراب والصلاة والسلام على إمام
الواصلين وقبلة المريدين قائد الغر المحجلين فاتح النبوءة
وخاتمها أصل المكونات وروحها هادي أهل السعادة وممّدها
معلّم آداب العبودية بالتعلق بالربوبية من لا يدل إلا على مولاه
بحاله ومقاله باب الحضرة وينبوع العلم الوهبي بلسانه صلاة
وسلاماً مناسبين لمقام كماله وليست إلا من مولاه مفاضة من
حضرة كماله. وبعد فإنني لما منّ الله عليّ بحضرة دين المنعم
عليهم من الأصفياء تذكرت إخواننا العبيد الأتقياء فأحببت أن

أوضح لنا ولهم زلال العبودية لتنتشع عنها العبودة المحضة ويزال نقاب محياها بعبارة غضة فيعقبها ذوق ما أشار له العارفون بأساطير التلويح والكناية فيربح كل تاجر بإحكام فهم ما سطرناه بالعناية فالله المبدئ المتم المعيد هو الذي أنطق كل شيء المحرك المسكن. اللفظ قلب المعاني والقلب قلب الأسرار والمراد للمباني وسميته (سوق الأسرار إلى حضرة **الشاهد الستار**) وبعد فليعلم اللبيب أن كل ما خطر بباله فالله بخلافه وأن هذا الكتاب إنما يساق به مساق الأمثال وهو وما فهم منه وما تخيله الأفهام عند تقريره رمز حادث لا غير وأن المقصود به إفراد الوجهة إلى حضرة الألوهية وهو المعبر عندهم بالتوحيد فالتوحيد توجيه وإفراد الوجهة إلى سيادة المالك بالخشوع والخضوع والتذلل لسطوة سبحات جلاله فإن كثيراً من العباد مغرور بحضرة الدنيا وحضرة الآخرة وحضرة البرزخ وحضرة متعلقاتها. فألمت هنا بما يزيح شوب العبودة بغيرها

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾² . فيجب إفراد المملوكية لقبلة سيادة المالكية فافهم فإن كل ما سوى الله عبد مملوك له حقيقة والمالك واحد وأحد والمملوك من حيث الفعل الإلهي واحد وباعتبار جهات الجزئيات متعدد والعبيد المكلفون بحسب ما ظهر ثلاثة **عبد الأجرة** وهو من يعبد لغرض دنيوي أو أخروي أي حمله الغرض الطمعي على العبادة من صلاة وأذكار فهذا بعيد بعد نسبة من الحضرة المالكية مستوجب لعبادته البوار والنكال لولا فضله تعالى عليه وعبادته مردودة عليه لأنه عابد لنفسه لا لربه فهذه مرتبة المخلصين وأهل الإخلاص على خطر عظيم **وعبد عصى** من حمله خوف على العبادة وهو خوف لحاق ما توعدّ به العاصين من أليم النار وهذا عابد لهواه وهو أجلف المتعبدين لأن المعلول يدور مع العلة وجوداً وعدمًا لولا الجنة والنار لظهر من يعبد الله ممن لا يعبده والمغتر بالظواهر كثير فكثيراً من تجرد للخلوات والرياضة

² (116) سورة النساء.

والمجاهدة الفادحة لهاذين الغرضين الفاسدين عند كل ذي ذوق سليم فيحتمل المكاره لها وربما يدلّه عليه من لم يصحح وجهته وتوحيده فيكون عوناً للشيطان عليه **والثالث عبد الله** وهو من حمّله على أنواع العبادة امثال أوامر الله واجتناب نواهيه إن كان من الدرجة الأولى من المقربين أو حمّله استحقاق المالك الحق لأنه السيد المنفرد بها إن كان في الدرجة الثانية وهو خاصة المقربين أو حمّله الشوق والشكر والغلبة لما فجأه من الجمال والجلال وهي الغاية القصوى في الإتقان والإحسان من غير تعرّض لامثال وإن كان ممثلاً ولا استحقاق لما دهمه من الجمود الصرف والفناء عن كل ما غشيه من السواحق والدواك لإحساسه فكان عبداً جامداً لنفسه متصرفاً لربه ميتاً لها حياً بربه مجرداً عن العقل عقل تمييز وعقل كلي فانفتحت له عيون بحور حضرة العقل الرباني فتصرّف به ربه بما انطوى فيه من أنوار عقله الرباني فخلّف نور عقله نور المريرين والسالكين والعبادين واعلم أن العارف يكون كالقلم بين يدي كاتبه فهو جامد لا روح فيه ولا عقل ولا تمييز ولا إرادة ولا سلوك بل

عرضة الكاتب فحظه أن كان آلة للكاتب فيا سعادة له إن استعمله الكاتب في القوائد المليحة وكتب به خطأ مستقيماً حسناً بفضله وويل له إن استعمله الكاتب في القوائد المخالفة لآداب حضرة الملوك وإن كتب به ذلك فالكاتب له أن يبريه وينجره بما ظهر له وله أن يحرقه بالنار أو يهمله وإلا فالأقلام كثيرة جداً فإن استعمله فبفضله وإن أهمله فبعده له لأنه ظالم بكتبه القوائد المناقضة للآداب والحروف الغير المستحسنة والمالك يفعل في ملكه ما يشاء غير ظالم فالظلم شغل ملك الغير والقلم سهم الكاتب فافهم فله المثل الأعلى ففعل الكتابة من قوة الكاتب والمباشرة للقلم فيها يأخذه سياسة ثم اعلم أن العبد على الحقيقة الأصلية لله واحد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أفرد الحق كليته إلى الحضرة القدسية إفضالاً منه جل وعلا لأنه خلق من صفوة النور الإلهي وهو الذي خلقه لنفسه وما سواه صلى الله عليه وسلم يعبد الله من وراء حجابيته صلى الله عليه وسلم حتى الأنبياء فإنهم خلفاؤه صلى الله عليه وسلم في ذلك فهو العابد لله دائماً القائم بحق

الربوبية والعارفون يعرفون الله بما ظهر لهم من العابد صلى الله عليه وسلم وهم غرقى في أنواره صلى الله عليه وسلم متوجهين به لحضرة ربهم فهو قبلتهم وإمامهم من يوم فطر الله الخلق إلى ما لا نهاية لأيام الآخرة فكل من ناب عنه صلى الله عليه وسلم بحلته التي ألبسها له صلى الله عليه وسلم ومن ناب عن من ناب عنه صلى الله عليه وسلم يعبد الله بحسب صفاء الحلة التي ألبسها فهكذا إلى آخر الدهر ثم أكبر الخلق عبودية بعد الأنبياء القطب الجامع الكامل الوارث أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ثم القطب دونه ثم من ضاهاهم إلى آخر الدهر وسيتبين لك ذلك كله في عرصات القيامة فمن ورث مقام نبي من الأنبياء يعبد الله بقدر ما ورثه ذلك النبي من حضرة قطب الوسائل صلى الله عليه وسلم فإن كان قطباً مثلاً يعترف ويتصرف بحسب عبوديته المكتسبة من موروثه ومن ورث المقام المحمدي يكون كاملاً لجمع علم الأولين والآخرين تتفجر منه الشرائع كلها ويعبد الله بجميع شرائع الأنبياء لأنه ورث بالفضل الإلهي ممداهم وروحهم وإنما أَلَمَّتْ بهذا وإن كان

مستطرداً لتعرف وساطته صلى الله عليه وسلم قبل الوصول
وبعده فإن حجت عنك وساطته صلى الله عليه وسلم فقد
حجت عن من كان قبلك من كبار العارفين مع اعتقادهم واعترافهم
بها بل لا يتجلى أحد إلا بحلة شيخه الموروث له وهو صلى
الله عليه وسلم ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾³ أي دائر بما خلقه الله
المسمى بالأمر الإلهي وهو الكون فاعلم أن الكون من حيث
هو مثاله باعتبار عظمة المالك جل وعلا كبيضة صغيرة لا ظهور
لها إلا كظهورها فقاب قوسين قشرة البيضة ولها قشور متعددة
وكل ما يسمى بالمخلوق داخل في باطن البيضة من العوالم
كلها الدنيوية والأخروية حتى العرش وما في جوفه فحجايته
صلى الله عليه وسلم دائرة به وما في داخلها محفوظ به صلى
الله عليه وسلم وهو مظله بحيث لو أزيل شيء من حجايته
صلى الله عليه وسلم لتدكدك ما في داخله من عرش وغيره
فكل ما خطر في بال العارفين الموحدين فإنما هو من جنس

³ (9) سورة النجم.

العوالم المحشوة في مرآته صلى الله عليه وسلم ولا سبيل لأحد
أياً كان ولو سيدنا إسرافيل الذي هو أكبر العارفين إلى تحقيق
مرتبته صلى الله عليه وسلم فضلا عن الإحاطة وقد أعجز الحق
جل وعلا جميع الخلائق عن إدراك جوهرة واحدة من جواهره
صلى الله عليه وسلم ومعه إنما هو مخلوق له مثلنا ولقد قطع
الحق جل وعلا أطماع الأفكار بالنبي صلى الله عليه وسلم
ومنع به كل إدراك وجعله سوراً قاهراً لكل عارف فقاب قوسيته
صلى الله عليه وسلم معناها أن الحق جل وعلا خلق صفيه
صلى الله عليه وسلم من صفوة نوره جل وعلا المكرم فأضاءت
جوهرته صلى الله عليه وسلم فكل ما وصله نور جوهرته فهو
بحر الخليقة المقهور ببحر الألوهية فركبه الحق جل وعلا من
نور جوهرته أدوار بحور الفيض والسقي الإلهي يظل بحر على
بحر ويبرد حرارة السطوة الإلهية تدريجاً حتى حصل اللطف
الكبير منه جل وعلا فكون الحق الفاعل المختار على حسب
ما تعلق به الإرادة الأزلية جميع العوالم المترتبة في القوة
والضعف فحصل لله الحمد الأمان والهناء لضعيف الأكوان

بالقوي منها فهكذا حتى وصلت إلى المرتبة المحمدية فهي ظل
الجميع وأصل الجميع وبحر فيوض للجميع كله لطفاً من المالك
جل وعلا بعباده ليبقي لهم وجودهم المناسب لهم بظل أقوى
خلقه صلى الله عليه وسلم فاعرف قدر نبيك تعرف منه قدرك
وإنما بينت ليلاً تدعي الاستقلال فتدك بسطوة غيره مرتبة
الحق على حبيبه فتحاول محالاً لم يرده الله جل وعلا فإذا
عبدت ربك بما أفاضه عليك من حضرة نبيك صلى الله عليه
وسلم وعرفت وأعطيت للحضرات حقها والأدب فاعلم أن الله
عز وجل لما خلق خلقه ومن جملة الفلك الدولاب الدائر
السائر أبداً علق رزق خلقه بالعمل المتقن لأنه جل جلاله لا
نسبة بينه وبين مخلوقه وإنما خلق وقدر وأراد بفضله فكل من
عمل عملاً متقناً أيّاً كان صالحاً أو غيره وأتقنه بشروطه التي
قررها الشارع صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وتقريراته
يدور له الفلك بسهم غلة ذلك السبب بعد علمك أن السبب لا
تأثير له بل إنما هو أمر مطاع فمن عمل عملاً صالحاً من صلاة
وصوم وذكر وأنواع القربات وأتقنه بشروطه المقررة من همة

نافذة جاهدة في طلبه أو الموت دونه فإن تعرض بعمله لدنيا يصيبها يدر له الفلك بها وهو غير عابد بل مسيء مستحق في نفس الأمر المقمت من الله لأنه لم يفرد العبادة له جل وعلا وإنما عبد لنفسه فهو مشرك في العمل المشروع للعبادة المحضة بحظه الدنيوي لولا فضل الله عليه لأهلكه به لكن قدر أن كل من عمل عملا وتعرض به لأمر وأتقنه يحصل على غرضه الذي هو النتيجة فتتفعل له الدنيا بسر همته ولا حظ له في الأدب مع ربه بل هو مطرود من حضرة القرب ولا يشم رائحة معرفة سيده ما لم يتب ويخلص وجهته لحضرة سيده وربما يغتر بما حصل له من الفتوحات الدنيوية بسبب عمله فتتعلق عليه أبواب الرب جل وعلا فالغرور اعتقاد الأمر على خلاف ما هو عليه فقد اعتقد أنه حصل على خاصية الذكر مثلا فيصرف همته عمره كله لمثله ويجعل ذلك عبادة ربه فيعد نفسه من ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾⁴ ويتلذذ بذلك في جميع

⁴ (35) سورة الأحزاب.

أوقاته وكلما ازداد خدمة ازداد بعده من حضرة سيده ربه لأنه إنما يغلظ الحجاب بهتمته ونيته وربما يدل العابدين على مثل عمله فهو ضال مضل محجوب بإشراكه في عبادة ربه فتناديه حضرة سيده ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت لنفسك فابق مع نفسك منعماً بغلة عملك ولأنت عندي أبعد من كل بعيد لنجاسة مطلبك فنأمر أخانا في ذات الله أن يرجع إلى ربه تائباً من نجاسة حظوظه ويفرد وجهته لربه ويخلص عمله ونيته له يجده ﴿أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁵. فافهم وإن عبد لغرض الخوف من عتابه وأتقن العمل بشروطه بهمة نافذة جادة أو الموت دونه يدر له الفلك بسهمه أي غلة عمله وهو الحفظ من أليم عقابه وهو غير عابد وغير أديب بل مشرك في الحقيقة لأنه استعمل السبب الذي يقصد به إحاض العبودية والتعلق بالربوبية في حظ نفسه الذي هو الخوف من النار وهو في الحقيقة وإن كان محفوظاً من العقاب يستحق البوار بالإشراك

⁵ (16) سورة ق.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾⁶ . وعدم الغفران بعده من حضرة سيده حتى يفيء إلى أمر الله ويتبرأ من الشرك في العمل فتناديه الحضرة ما عبدتنا لأجلنا وإنما عبدت نفسك فافهم ترشد وإن عبد لغرض الجنة وأتقن العمل إتقاناً محكماً بهمة نافذة جادة غير سائمة ويلاحظ بعبادته ما سمعه من لسان الشارع من أنواع النعم الحور وغيرها بحيث لا يريد بعمله إلا ثوابه الآجل الأخرى⁷ . يدر له الفلك بسهمه الذي هو غلة عمله وهو سكنى الجنة والتنعم بما فيها من نعم ربه وهو غير عابد ولا أديب بل هو مستوجب بعمله عقاب سيده لولا ما اكتفه من فضل ربه الذي عليه التعويل فيتلذذ بما تعرض له بعمله ولا سهم له في حضرة ربه ومعرفة سيده بل يشتغل بنفسه في الدنيا والآخرة منهماكماً في شهواتها الحظية وإن كان يكرمه ربه بسماع لذيذ خطابه يوم الجمعة مع عامة الناس على حسب الإفضال لا غير فيبقى مع العامة ساعة ثم يرد إلى نفسه

⁶ (48) سورة النساء.

⁷ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأخرية".

متنعماً بشهواتها المألوفة محتجبة عن معرفة جنة ذوق ما ذاقه أهل الحق الذين هم الأكابر من الموحدين عبادتهم لربهم في دار حياتهم الدنيوية وغيرهم بطال وإن كان في نعيم الجنة فجنة الموحدين المفردين لمحض العبودية الأنس بربهم ولا تخطر نعم الجنة ببال وإن كانوا غرقى فيها بحسب الإفضال فيجمعون لذة شهودهم لجمال سيدهم في كل نفس من أنفاس الدهر مع لذيذ نعم الجنة فلعنة واحدة يأكلها العارف أحب وأذ وأشهى من نعيم عامة الجنة فالعارف أكرمه سيده بأعظم نعيم الجنة ويحصل له سيده في نعمة واحدة أعظم ما يحصل لجميع عامة الجنة بلا قصد من العارف بل بالفضل الإلهي ويفاض عليه شهود مولاه الذي أفرد له العبودية ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁸. فالعارفون أفيض عليهم شهود مولاهم بعملهم وتفضل عليهم بلذيد نعم الجنة بل بأعظم نعمها والعامي أفاض عليه الحق نعيم الجنة الناقصة اللذة عن مرتبة العارف بمراحل

⁸ (72) سورة الزخرف.

بسبب عمله لأنه مشهوده في داره الدنيا وأكرمه الله في نفس واحد يوم الجمعة بسماع كلام سيده ببركة العارفين ورؤية وجه سيده مع الفناء لا البقاء لأنه تعرض لرؤية ربه بعمله فدار له الفلك بسهمه وهو غير عابد فافهم الفرق بين العارفين في الجنة وبين عامتها تجد العامة إنما رحموا ببركة العارفين وهم عيالهم ويتبين لك أن نفس العارف في الجنة لا تقاومه أنفاس العامة كلها سواء كان في الأانس بربه أو في النعيم المقيم وقد علمت أن الله جل وعلا يخلق في عنبة واحدة مثلاً للعارف لذة ما لا يجده أهل الجنة من جميع نعيم وجميع أعمار جنتهم فإذا تمهد هذا فقم بين يدي مولاك بالعبودية الخالصة من غير غرض دنيوي ولا أخروي ولا برزخي بل لما عليه من جمال وجلال الكمال تكن أسعد الناس بمولاك ولا تغتر بزخارف الحظوظ التي هي مهلكة العابدين ومزيلة المطرودين فليكن حظك من مولاك أن جعلك آلة لذكره لا غير وإن عبده لغرض الولاية والفتح والكشوفات وأتقن فيه إتقاناً محكماً على حسب ما عند أهل الطريقة الثانية المحدثه بعد القرون الثلاثة بعد إدبار

القلوب عن الله التي بنوها على الحظوظ من الفتح والكشوفات
قصداً منهم لتريق الحجاب لا غير لا أنها طريقة جادة بل هي
معوجة معلومة الاعوجاج لكل عاقل لكن بنيت على الحظوظ
أولاً لغرض السياسة والرياضة فإذا رقت الحجب وانفتحت
مسام بواطن أهلها يعرف المسلك أهلها بسهولة عن قصد
الحظوظ الذي هو عين الشرك فيتطهرون ببركة المسلك
العارف لا غير ولا تحمد عواقب أهل الطريقة الثانية إلا عند
اختتام أعمارهم وانتهاء أمرهم فمن بقي منهم حتى يرتاض ويرده
المسلك إلى الطريقة الأولى الجادة التي بنيت على أفراد العبودية
لسيادة المالك الحق جل وعلا وهي طريقة النبي صلى الله
عليه وسلم وطريق أتباعه الصحابة وأتباعهم فأهل الطريقة الثانية
لا يسمّون التابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاتّباع
الكلي حتى يتخلّصوا للأولى لأنها ليست العبادة مقصودة
المحدثين لها من العارفين بل مقصودهم إطماع القلوب المدبرة
عن حضرة الله على وجه السياسة فإذا مالت قلوبهم إلى طلب
كرامة الله فطموهم منه وبينوا لهم وجه العبودية فيلتحق بعده

بالسعداء بحضرة ربهم وعليه فإن أتقن العمل بوجهه يدر له
الفلك بسهم الولاية والفتوحات والانفعالات بهمهمم وخرق
العوائد المألوفات بأضدادها فيعظمون في العالم العلوي والسفلي
وذلك جزاؤهم لأنه ما عبد الإله وربما يقطع له رأسه بسيف
القدرة ويطاف به في عالم الحس فيقال هذا جزاء من اختار
الولاية على خدمة مولاه أعيد نفسي وإخواني من سوء القضاء
اللهم إلا إن تدركه عناية إلهية فتخرجه عن حضرة حسه حتى
يشهد الحق ويتبرأ من ولايته وقوته ورجع إلى لبس ثياب
العبودية بحيث لا يناع سيدة في رداءه وإزاره الكبرياء والعظمة
فيكون حينئذ مراداً له جل وعلا فافهم فإنه موضع زلق موبق
لأن كثيراً ممن أفيضت عليه الولاية بحسب عمله المتقن وهو
محجوب عن الحق يتصرف بها بلا أدب حتى يطرد بسوء أدبه
وربما يخيل له في حال الانفعال أنه الفاعل وأنه عين ربه فيتكلم
بكلمة الكفر نعوذ بالله من سخطه فيهدر دمه على لسان
الشريعة محقاً أو مبطلاً فلا يلومن إلا نفسه ومن تطور في غير
شكله قدمه هدر محقاً أو مبطلاً وإياي وإياك من دعوى

الربوبية فإنها رجس فالعبد عبد وجب عليه ألا يتعدى طوره على أي حال والولي هو الحق جل وعلا لا غير وإنما أفاض اسم الولاية على غيره لسياسة ملكه لا غير وإياك أن تهمل حق العبودية التي هي أصلك فتغترّ مع المغترين وأنواع المغترين كثير بل إن تجلى فيك الحق على سبيل القهر فانفض بالله لا بك مفوضاً مؤتمراً بأمره وأنت في هذه الحالة غير عابد لمولائك بل إنما حصلت على نتيجة عملك المتقن فكلما ازددت خدمة على هذا الوجه ازددت بعداً من الملك الحق فافهم واعلم أن الأذكار وأنواع العبادة المرتبة عند العلماء لملاحظة خاصيتها من صلاة ذات ركوع وسجود على الكيفيات المتوجه بها على ما قرره في إحياء العلوم وقوت القلوب وكتاب جواهر الخمس وغيرها وصلاة الضحى وما حكي عن الشارع من الثواب المرتب عليها وأذكار مقررة بلسان الشرع كالأسماء الحسنى المفصل كيفية التوجه بها في جواهر الخمس للشطار وشمس المعارف وغيرها وكذا الطلاسم المفهم معناها المركبة على يد الإمام الشاذلي والإمام الغزالي ومن تبعهما وأما الطلاسم المجهول

معناها كخاتم سليمان عليه السلام فحرام تناولها فكل ما ذكره العلماء فيها صحيح لا شك فيه وكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك صحيح لا شك فيه لكن مقصود الشارع فيه ذكر فضل الله تنشيطاً لهمم السالكين المرئيين في حال طريقتهم لا أنه حرضهم وأغراهم عن التعرض بهمهم لذلك في حال توجهم فإن التعرض له في حال التوجه يقدر في العبودية ولا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسله الله لتصحيح قصد السالكين والتائبين والعاصين فيصرف خطابه لكل مقام يناسبه وهو صلى الله عليه وسلم يتلون في مراتب الدين الثلاثة ومواقفه التسعة فيوجه خطابه لأهل المواقف بحسب الشفاء لكل مريض منهم فالعقل يأخذ دواء يناسب علته من ألفاظ الشارع ولا يتصرف كل دواء في كل علة بل كل واحدة لها في ألفاظه ما يناسبها لأنه هو الطبيب الحقيقي فالعاصي ينقمع وينزجر بذكر أليم العقاب فيتوب ويبدأ السلوك أولاً والتائب ينشط بذكر ثواب التائبين وهو العفو من الله جل وعلا إفضالاً منه والمخلص تزداد همته بذكر الثواب المرتب

على عمله ويزيد مجاهدة وهي خير من البطالة والمقرب يخاف ويدهش وينقبض عند سماع الثواب ولو من الشارع مخافة أن يكون من المطرودين المبعدين من حضرة سيدهم فيزداد انحياشاً لجناب الحق ويسري فيه سر كلام النبوة فيزيد تجرداً مما سواه ويصح وجهته ببركة الخطاب مجرداً من الغير والغيرية فيزيد قرباً على قرب مثاله أن الصبي الأحمق بصباه إذا هرب من حضرة أمه المشفقة عليه إلى حضرة الصبيان أمثاله بين كبير وصغير عقل وصغير جسم وعقل فإن لسان أمه يقول له فأنحش إلي وابق معي فأنا الحنينة عليك القائمة بمصالحك العارفة بثمانك لأني ولدتك فإن امتنع ترغبه بمثل بيضة ورمانة وحلواء وحاجة فتمنيه بها يا ولدي إن رجعت إلي أعطك حاجة تارة تظهرها وتارة تخفيها ومقصودها الرجوع إليها فإن رجع عن شراده تمكنه منها وإلا أمسكت عنه فإن رجع ما رجع محبة في أمه وإنما حمله الهلع ولا يبقى في حجر أمه وإن رجع مطمئناً لأنه إنما رجع لغرضه فإن أكل الرمانة أظهرت له الأخرى أحسن منها حتى يكبر ويعقل فإن عقل ترك ونهته إما البقاء وإما

العقوق نعوذ بالله وإذا امتنع من الرجوع بعد المبالغة في إظهار الحاجة تتركه وهواه وربما تحرض عليه الصبيان ليضربوه ويسبوه ويهينوه محبة فيه للرجوع إليها فإن أهين أو أدمي يهرب إلى أمه للشكاية فتقول له أنت الذي تركتني وتبعتهم ليبارك لهم في صحتهم لأنك اخترتهم فإن أكثر الشكاية عليها ولزمها تستقدر له مخالطتهم وتظهر له أنها معادية لهم وهي التي حرصتهم عليه سياسة منها للبقاء عندها لأنها عاشقة فيه فإن انحاش لها وجلس في حجرها قبلته ولا تبالي بما فعله في حال صباه والصبيان وإن كانوا مبكين له يترددون عليه بالنداء للعب معهم على عادة أهل الأهواء فإن استقدرهم وعدّ⁹ مجالستهم ومرافقتهم سماً بما رأى عياناً من إذايتهم له وقطعهم إياه عن حضرة والدته المدبرة له يبقى مكفولاً مرضياً موصولاً مع أمه وإن نسي ما فعلوه معه يخرج إليهم ويكبر معهم فاسد الطوية مقطوعاً ملعوناً في حضرة أمه وهو مولودها تحبه ويغضها

⁹ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "وأعدّ".

وكذلك إن خرج للصبيان وعظموه ورأسوه وأمروه عليهم فإنه لا يرجى برءً بلائه لأنه وجد الرياسة مع غير أمه فينقطع دائماً بسبب اللهو والصبي المنحاز إلى أمه الذي لا يألف غيرها ولا يريد الانقطاع عنها لطهارة أصله وشهامة مخبره لا يفارقها ولا يربي ألفة على أحد حتى إن جدته أو خالته إذا طلبته من حجر أمه ينظر إلى أمه لما عرف بباطنه أن أمه تحبها فإن أذنت له أمه ظاهراً وباطناً يمشي متغنجاً متبختراً مظهراً أنه لا يريد لولا إذن أمه فيبقى بين يديها لحظة وقلبه مع أمه وعينه كذلك وهو يفرفر إليها فإذا استتمعت به في قدر لحظة ينسل إلى أمه فإن منعتة الخالة مثلاً يبكي حتى يرجع هذا شأن سالم الفطرة فلا يحتاج إلى تمنية أمه للرجوع ولا يعرج على مثل البيضة بل كليته في حضرة أمه مستوحشاً غيرها بالفطرة فأمه تكرمه بأي أنواع الإكرام من بيضة وحلواء وثياب فاخرة تمتعاً به لا هروباً فالكبير في حضرة أمه العاقل العارف الماهر بأمر صلاح نفسه وأنه مقصور على حضرة أمه لا يمني أصلاً فإن منته أمه اختباراً يستحيي وينقبض ويخاف أن يكون صغيراً أو هارباً ممكوراً به

فيضرع ويكي لما خاف من المكر حيث نزلته منزلة الصبي في الخطاب ويزيد قربة بخوفه من مكر أمه ما للكبراء والشهوات ((ما لي وللدنيا)).¹⁰ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾¹¹ . ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾¹² . فمثال حضرة الأم حضرة الحق ومثال الأم في الحنين والشفقة سيد العبد وله المثل الأعلى ومثال الهارب مثل العاصي يمّى بالجنة ويزجر بالنار للرجوع ومثال البيضة الجنة وما فيها فإنها ما ذكرت في القرآن إلا لمثل ذلك شفاء ودواء وترياقاً لكل أحد. فالهارب العاصي عن حضرة مولاه ينكف إن سمع عقاب الله ويخافه إن سبقت له السعادة بحسب الفطرة والتائب يزيد في الأعمال الصالحات لما سمعه من الجنة والمخلص العامل عملاً ينسبه لنفسه ويلاحظ في حال عمله الثواب المرتب فيزيده الخطاب

¹⁰ الراوي: عبد الله بن عباس | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6352.

¹¹ (60) سورة النحل.

¹² (26) سورة البقرة.

بمثل ذكر المغفرة والقرب مجاهدة. والعارف المقرب الكبير يزيد الخطاب بمثل الجنة والحفظ من النار والمغفرة انقباضاً وخوفاً من أن يكون ممكوراً به وهو في الحضرة ويعد نفسه مقطوعاً بحيث لا يعول على حاله ولا معرفته بربه ولا بوصاله لأنه لما سمع ذكر الثواب خاف أن يكون من العاصين أو التائبين أو المخلصين فيخاف من مقام الإخلاص كما يخاف العاصي من النار ولا يزال يخاف من مقام ربه فله جنة معرفة ربه ممزوجة بالأدب الذي اقتضاه وهو الركون إلى مولاه والرضى بما رضىه من جنة أو نار وجنته لذة شهود مولاه وناره نار القطيعة التي هي أحر نار فيبقى بأدبه موصولاً في الدنيا والآخرة ولا يفرق بين الدوائر الثلاث فحضرة الدنيا والبرزخ والآخرة على حد سواء عنده لأنه متمتع بلذيد خطاب سيده وجماله ويحمله الجمال عن ترك الميل لغير ربه خائفاً وجللاً آنساً فانياً صاحباً ميباً حياً جامداً متصرفاً منقطعاً عن الخلائق متصلاً بهم ساكتاً متكلماً مشيراً عاجزاً عن الإشارة ضاحكاً باكياً عاقلاً والهأ مميزاً ساكراً فتجتمع عليه الأوصاف كلها في نفس واحد متصفاً

بصفات ربه متجرداً عن صفات نفسه أديباً عالماً جاهلاً فتشرق عليه أوصاف العبودية كلها في كوة السيادة في كل نفس من أنفاسه فلا يحصل على معرفته بين الناس إلا من أحبه الله لأنه متلون بتلون الخلائق كلها بجلوسه على كرسي العبودية فتحصل أنه توجه خطاب الشارع إلى جميع الأجناس من العبيد يداويه الخطاب العزيز بما يصلحه ويزيده ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾¹³ . فالمخلص عند السيد هو الذي يعرف خطاب سيده بالإشارة ويفهم من عمل لفظه ومن كل إشارة ما يبرى أسقام الأجناس كلها وهذا العالم حقيقة الذي يستحق التقدم والعلم وغيره إنما يزيد سقماً على سقم لكنه لا يريد التنزل من حضرة الحق إلى حضرة الخلق اللهم إلا إذا اقتضت حكمة سيده التنزل فلا يكاد يحب إلا التنزل لأنه مراد سيده سواء فيه صلاحه أو هلاكه فإنه لا مراد له مع مراد سيده فيظهر المخالطة ويظهر المجانسة لهم ولا مناسبة إلا ما اقتضاه الأمر

¹³ (61) سورة الصافات.

الإلهي فافهم وكن من الشاكرين فإن كثيراً من الناس اختلطت عليه الطرق فيجمد على الظواهر والحظوظ محتجاً بأن الله أمرنا بطلب الجنة بالأعمال الصالحات ذاهلاً عن الطب الإلهي لقلّة الأُطبة في زماننا على الوجه الأكمل أي ظهورهم مع كثرتهم مغرور فاسمع قوله جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً * فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾¹⁴ . فالمطمئنة هي نفس المخلصين والإخلاص نهاية الأولياء أهل المجاهدة الملاحظين ثواب أعمالهم وقد أمرها الله بالرجوع بالانسلاخ من التعرض للثواب فإن رجعت بحيث رضيت بما رضيه مولاه سميت راضية مع نسبتها العمل لنفسها فيجب عليها التوبة من نسبة العمل لغير الله جل وعلا فإذا تجردت من نسبة العمل لها متبرئة من نفسها عالمة بأن الله هو الفاعل المحرك المسكن له هو ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾¹⁵ .

¹⁴ (من 27 إلى 30) سورة الفجر.

¹⁵ (21) سورة فصلت.

﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾¹⁶ . خطاب لأعز وأكبر

العبيد ودخلت عائمة في بحر الوحدة وحدة الذات ووحدة الفعل وتبين لها أن الخلائق كلها فعل للحق بمنزلة كتاب مكتوب بمداد واحد واعتقدت أن تجزئة الكتاب إلى حروف وأحزاب وجمل لا يخرجها عن المدادية ولا عن كتابية الحق جل وعلا ونسب لمولاه كل ما رآه ولا يرى أحداً قادراً على حركة وسكون بل يكون كل شيء عنده هباء في شمس دخلت بكوة لا وجود له وجوداً يحصل عليه بل هو مبصر غير ثابت ولا نافع ولا ضار ويعتقد وجود الهباء وجوداً خيالياً وأنه لم يكن إلا الحق جل وعلا وأن كل ما ظهر إنما ظهر من النور الإلهي تكن مرضية عند مولاهما فإذا رضيها يسحقها ويدقها دقا ناعماً حتى يفنيها لأوصافها ويميتها ويربها بالسقي الإلهي بدخولها في حضرة صفاته وأسمائه. فإذا تنورت وتصفت وامتلات بما أفيض عليها من حضرة أسمائه وصفاته تجلت وتقوّت لحمل

¹⁶ (17) سورة الأفعال.

أنتقال السر الإلهي فإذا أمرت وأودعت وختمت وانغلقت
وانبرزت انتقلت للمعرفة الإلهية فتكون جامعة مانعة محاطة
بسيادة سيدها مرادة معظمة سائرة لما لا نهاية له من بحور
أنوار الكنه الرباني فافهم واجزم وهو قوله تعالى ﴿وَادْخُلِي
جَنَّتِي﴾ أي جنة معرفته وادخلي في عبادي وهذا هو العابد لله
لا غير فإن غير هذا عابد لهواه مستحق غضب ربه لولا رحمة
الله عليه فعمله بالقصد معه عين القطع لكن سبق ما سبق في
علمه الذي لا يبدل أن كل من عمل عملاً وأتقنه دار له الفلك
بسهمه. وعليه فمن عصى الله معصية متقنة بشروطها بهمة نافذة
جاهدة في المعصية على وجه الجحود والاستكبار عن الربوبية
يدر له الفلك بسهمه وهو غلة عمله التي هي سخط ربه قطعاً
ولا يغفر ذنبه أبداً لأنه جل وعلا حكم بأن من عمل عملاً متقناً
يدر له الفلك بسهمه وقد أتقن العمل بالجحود والاستكبار
والتصحيح على عدم العود نعوذ بالله جل وعلا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴿١٧﴾ . وَإِنْ عَصَى اللَّهَ اتِّبَاعاً لِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدِ
الاجْتِرَاءِ عَلَى الرَّبُوبِيَّةِ وَلَا جُحُودِ نِعْمَتِهِ وَلَا اسْتِكْبَارٍ عَنْ سِيَادَتِهِ
فَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ غَيْرُ مَتَقَنَةٍ فَإِنَّ الْفَلَكَ لِلَّهِ الْحَمْدُ يَدُورُ بِسَهْمِ غَيْرِهِ
وَلِذَلِكَ يَغْفِرُ بِالْحَسَنَاتِ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .¹⁸
وَبِالنَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَكْفَرَاتِ الْمَرْوِيَّةِ
عَنِ الشَّارِعِ غَايَتُهَا أَنَّهَا تَأْكُلُ مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْهَا
صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ فَإِنَّ تَابَ تَابَ مِنْهَا تَزِدُ عَلَى الْحَسَنَاتِ بِحَسَبِ
الْفَضْلِ الْإِلَهِيِّ . فَكُلُّ مَا وَرَدَ أَنَّهُ يَكْفِرُ فَإِنَّهُ يَكْفِرُ سَائِرَ جَمِيعِ
أَنْوَاعِ الْمَخَالَفَاتِ لِلَّهِ الْحَمْدُ لِأَنَّ الْفَلَكَ لَمْ يَدِرْ لَهُ بِسَهْمِهِ غَايَتَهُ أَنَّهُ
مَسِيءٌ جَدًّا حَيْثُ اقْتَحَمَ مَا نَهَى عَنْهُ فَيَسْتَحِقُّ سَخَطَ مَوْلَاهُ
لَوْلَا فَضْلُهُ السَّابِقُ وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَدِرْ لَهُ الْفَلَكَ بِسَهْمِهِ لِعَدَمِ إِتْقَانِ
الْعَمَلِ وَهُوَ مَنْغَمَسٌ فِي فَضْلِ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ يَحْمَلُهُ سِرُّ إِيمَانِهِ عَلَى
عَدَمِ الْإِصْرَارِ إِلَى الْمَمَاتِ أَيَّ عَدَمِ نِيَّةِ الْإِصْرَارِ إِلَيْهِ بَلْ كُلُّ يَوْمٍ
يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ وَكَلَّمَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ سَرَى فِيهِ نُورُهُ وَأَمَّا

¹⁷ (48) سورة النساء.

¹⁸ (114) سورة هود.

إن نوى الإصرار عليه إلى الممات فهو عين التجرد على حضرة الربوبية ولذلك تنسد مرآته ولا يرجى فلاحه لأن الفلك دار بسهمه بالإتقان فافهم. ومنه تعلم أن أهل المعاصي من المومنين المصدقين برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم لله الحمد من يستحسن المعصية مستكبراً بها على الربوبية وإن كان مجاهراً به عند إقرانه فإنه خائف من مقام ربه بدليل أنه يستقدر نفسه ويستحي من العلماء والمساجد فهذا كله لا يدور له الفلك بسهم الغضب وإن كان مسيئاً جداً حيث خالف أوامر سيده لكنه غطاه الفضل الإلهي. ولهذا لا يغضب الحق جل وعلا على واحد من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلو غضب عليهم لتبدل حكمه وهو لا يتبدل وتبدله بدوران الفلك بسهمه وهو غير متقن للمعصية. ولذلك من سبق أنه يدخل النار من أمته صلى الله عليه وسلم يدخلها مرضياً من سيده ولو فعل ما فعل من كل معصية غير متقنة فلو أتقنها لكان كافراً بل يدخلها محبوباً مرضياً تطهيراً له مما أسرف حيث ربت مساويه عن حسناته بحسب ما يعلمه الله لا على

وجه المقاصة فتتهيج عليه النار شفقة فتحرقه مرة واحدة ودفعة واحدة فتخرجه عن حسه فيبقى فحمة مطهراً بها حتى يشفع نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تخرج فحمة حتى يأذن نبيها إظهاراً لأهل الجنة قدر نبيها لا غير وأنه لولاه صلى الله عليه وسلم لاستمر من دخل فيها ولدخلها من لم يدخلها فإذا تبين لأهل الجنة وأهل النار ذلك السر الإلهي خرج جميع من لم يدر له الفلك بسهم الغضب فيظهر فضل الله للفريقين فيغرق الحق جل جلاله فريق الجنة في محبته وفريق الكفر في غضبه دائماً أبداً فعليك بمولاك فالمنة له عليك والزم أعتاب العبودية الصرفة المجردة من غير وغيرية تحظى .¹⁹ في هذه الدار بما يفاض عليك في البرزخ والآخرة وتتنعم في كل نعمة الدنيا من أكل وشرب ونكاح بمثل ذلك في الجنة ولو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً فإذا تمهد هذا فاعلم بأن الله عز وجل ما ملكنا العبيد إلا لنفهم بهم عن الله وكذلك كل ما أفاضه علينا وخلقه

¹⁹ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "تحظ".

ونسبه لنا ما نسبه لنا إلا لحكمة وهي المعرفة بأن المالك يفعل في ملكه ما يشاء واعلم بأن المالك للذوات والأرواح والأجرام والأعراض في الحقيقة هو الله جل وعلا وغير الحق مخلوق له مملوك له مقهور بسيف المالك الملك لا يملك نفسه أي جوهره فضلا عن عرضه فضلا عن عمله فضلا عن مال منسوب له وغيره وملكية غير الحق جل وعلا ملكية ظاهرية مجازية وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له فملك الحق حقيقة وهو استعمال اللفظ فيما وضع له أولا والواضع الفاعل المختار الحق لتقتبس من الحقيقة ومن المجاز أحكامها بالوهاب الرباني وهو العقل الغير المكتسب بل مفاض من حضرة الرحماني فإذا علمت أن المالك واحد لا تعدد يتضح لك أنك أنت ومن ماثلك في المخلوقية عبد محض لا تأثير لك ولا حركة ولا سكون إلا به جل وعلا فالمملوك لا يملك مع سيده شيئاً نفسه وحركته وسكونه وكل ما نسب لك ليس ملكاً حقيقياً لك ولذلك أمرك بالاعتقاد في كل شيء فإذا تمهد هذا علمت أن العبد له حد يحده ووصف يناسبه وحده الضعف

والذل والفقر ووصفه اللجاء والاتكال على سيادة سيده فالسيد تقتضي سيادته الإمداد من رزق وإحياء وإماتة وبعث وفعل كل ما تعلقت به مشيئته فمن أول وهلة الملك ترتب في علمه الإمداد بلا كلام ولا سؤال والعبد بمجرد علمه علماً حقيقياً بترتبه في ملك سيده يعلم قطعاً من باطنه أن رزقه في يد سيده فلا يحتاج إلى من يعلمه ذلك وإن كان من أجهل العبيد بل يعلمه بالفطرة الإلهية على سبيل الإلهام الرباني فتجد العبد غني النفس عن التعرض لأملاك نفسه لعلمه أنه مملوك لا يملك لأنه غني بسيده ولا يتعرض لسؤال الغير مخافة سيف غيره سيده وإن أجاعه السيد لحكمة هذا وعليه فنزل نفسك منزلة ذلك العبد المملوك العاجز المسكين واعتبر فكل ما لا ترضى أن يقابلك به عبدك المملوك ملكاً مجازياً فالسيد الواحد الحق هو أولى به فيا سعادة عبد استعمله سيده فيما يرجع عليه بالرضى من سيده ويا خسارته إن أهمله بعدله فذلك شؤم لحقه بنفسه لنفسه منها وعبيد الخدمة كثير فبعض يستعمله بفضله وبعض يهمله بعدله فالحمد للملك على كل حال فله أن يهمله

ويعذبه بترك خدمته وله أن يرحمه بفضله غير ظالم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾²⁰ . لأن السيد يتصرف في ملكه كيف يريد من غير منازع لأن سيادة المالك متحدة فيجب عليك أيها المسكين أن تعلم أن أمورك كلها بيد سيدك فلا تحتاج إلى تفويض لأن السيد لا يتوقف على توكيل عبده لأن الوكيل أجنبي وهذا مالك ومعنى التفويض في لسان الشارع الإقرار والاعتراف الباطني بأنك أمورك بيد سيدك لا غير لأنك تأذن له كعادة الوكالة والنيابة والتفويض منه لا منك ومعناه منك الإذعان له فإذا أفاض خير الدنيا والآخرة ونسبه لك فاقطع بأنه لا حق لك فيه إلا مجرد الانتفاع ثم ينقل لغير من العبيد بعدك أي بعد تصرفك فإن السيد إذا قال لعبده ملكتك أمر كذا وهو لك مقصوده سياسة النماء والاعتبار لا أنه لا نظر للسيد عليه رأيت أنه إن بذره أليس له أن يعاتبه عليه وهو أكبر دليل عليه وما جعل شيئه تحت نظر عبده إلا للاختبار لأنه لا يجب من

²⁰ (46) سورة فصلت.

يتجرأ عليه في الشيء المملك وسيده أولى به ثم اعلم أن العبد المستعمل في غرس مثلاً لا يخطر بباله أن العمل الذي هو الغرس له بل إذا سألته عن نفسه يجيب بديهته بأنه عبد لفلان يجيب بلا توان وإن سألته عن الغرس يجيب بلا تأمل بأنه لسيدة فلان وإن كان من أجلف العبيد ولا يتصرف في الغرس إلا باذن سيده ويغرس خائفاً من سيده وربما يخرج الغرس مراراً وربما تموت الشجرة أو ربما لا يحسن الغرس أو ربما ينزعه عن غرسه ويملكه لعبد آخر ويهمله هو وحظه من العز إن كان عبداً للسيد الكبير فإذا شاهد مولاه تنصب عليه صواعق العز والفرح والهيبة والأنس فلا تسكن فرائضه حتى يشاهد جمال سيده بالتنزل والملاطفة به ويسمع لذيد خطابه مع قرائن الأمن منه وهكذا دائماً أبداً وإن غرس ما لا يعده العقل بل يعتقد أنه إن زل زلة واحدة في عمره له أن يعذبه بها إن قابله بعين السخط وله أن يتفضل عليه بالإغضاء إن نظر إليه بعين الرضى ولا يعول على عين الرضى ولا على عين السخط فله أن ينظر في كل نفس لأحدهما أو بهما ولا يركن

إلى حال بل يرى نفسه مقهوراً في قبضة المالكية دائماً فكن أيها الأخ كذلك مع مولاك الحق تحصل على كنز العبودية ولا فضل لعبد على الآخر إلا بالأدب مع السيادة ما لك أيها المسكين تدعي الحرية وتتمن بعملك على مولاك وتطالبه بالأجرة عليه وهل رتب لك سبحانه الأجرة على عملك إلا بعد انطماس البصيرة والبعد من حضرة القرب فلا يقدر عبد أياً كان أن يطالب سيده ولا أن يمن بعمله لكن إذا تصدت المرآت تقبل كل وسخ فشتان ما بينك وبين العبودية وإن ادّعتها أين لك العمل الذي نسبته لنفسك فأنت منه وآلة الغرس والبلد منه فأسقط الطمع من ثواب العمل فإنه لولا فضله ما وفقك له وليس من شأن العبد التعرض له بل من شأنه العمل مع الخوف منه فلا يرى نفسه أهلاً للعمل فضلاً عن الأجرة لكثرة العبيد الذين تظن فيهم عندك الأهلية فأهملمهم واستعملك أنت فتمن عليه بنفسك وأنت مخلوق له وما باشرته من العمل فالعبد إذا قال لسيده المجازي أعطني الأجرة فقد أساء وادّعى الحرية حيث طلب الأجرة فالدنيا والآخرة والبرزخ إنما هن ديار الملك

وأنت عبده فالسيد جل وعلا لا يسكنها لاستحالتها لأنه غني
عن المحل والزمان والمخصص وإنما خلقها لك فاستعمل الأدب
معه ولا تراع الديار ولا ما فيها فإنما هي مقهورة تحت تصرفك
خلقك منها وأوقفك عليها وأطعمك منها وألبسك منها وزوجك
منها وأركبك منها رغماً عليها فلا تحبها إلا على وجه محبة
العارفين النعم منه وهو أنهم يعتمدون على سيدهم ويعتقدون
أنها هدية معظمة مرسلة من السيد لهم فيتسارعون لها لأنها
بركة الملك عظيمهم الملك بها فيعظمونها كما يعظم صاحب
السلطان كسوة سيده ويرى لها احتراماً ويقوم بشكر السيد من
غير مبالاة إلى نفس النعمة وإنما يعظمها باعتبار سيده ويتصرف
بها على الوجه الذي أهديت له مراعيًا حق السيد مراقباً له في
كل حال لأنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه فيسارع في حفظها
من الآفات والأوساخ ليحفظ وجهه مع سيده لا غير ولا يعشق
النعمة كما هو شأن الضالين فإن العاشق ينسلب عقله
بالمعشوق فإذا عشق النعمة سقطت حرمة المنعم بين يديه
وهو مهوى الهلاك. فمثال النعمة مثال ملك قاهر عظيم الخزائن

والعبيد أرسل لبعض خاصته ما يأكله وما يشربه وما يلبسه وما يركبه وما ينكحه ولعظم حظوته عند سيده أرسلها له على يد أعز مملكته مصحوبة بكتاب كتبه السيد بيده تعظيماً له مشتملاً على تعظيمه والسيد يبجل عبده بأنواع لذيذ الخطاب مثله رحمة منا ورضوان على عبدنا الكبير الشأن فلان وبعد فقد بلغ قدرك عندنا حتى كتبنا لك كتاباً بيدنا على خلاف عادة الملوك لحظوتك عندنا وبعثت إليك عبدنا الذي بحضرتنا لا يفارقنا ولا يدخل علينا أحد إلا به وهو الذي اصطفتيه بفضلي لخدمتي على سائر مملكتي وبعثته بالكتاب الذي تناولته بيدي ونزلت مرتبته لخدمة حضرتك السنية وعليه فبمجرد وصوله أكرمه وأكرم كتابه بقراءته تعظيماً وبفهم ما فيه واعرف حق المرسل لك فإنه أعز العبيد لدي وهو الواسطة لجميع مملكتي فافهم وبعده فاقدم لحضرتنا ولا بد بصحبة حامل الكتاب فإنه عارف كيفية السلوك وعليه مهابتنا وجلالنا محرراً ما في كتابنا من الإشارات والآيات لأولي النهى البيئات فخذ منا ما وجه لك من النعم فاستعن بها على السلوك لحضرتنا السنية فاعلم أنني ما

أرسلت إليك إلا لتحضر حضرتنا دائماً على عادة كمال أهل دولتنا إجلالاً للرسول الذي أرسل إليك وإياك أن تتراخى فإنه عين الطرد وإياك أن تغرك النعم التي أهديت لك لتستعين بها على السير إلينا فتكون من المغرورين بالنعم فتطرد عن مقام الحظوة فإن فعلت ولم تصحب رسولنا ولم تكن عند إشارته ولم تكرم رسالته بامثال أمره واغتنام صحبته تكن عندي من عبید المحنة دائماً ولا أبالي فإن أتيت استقلالاً بلا صحبة الرسول فإن أعداءك يقطعونك عني بتزيين النعم بين عينيك .²¹ فتغتر بها فيصحبك المقت كما صحب من جحد كتابي ورسلي ولم يكرموهما بمتابعتهما فقد حكمت على نفسي أن كل من لم يمتثل أمري ولم يقدم مع رسولي بالفرح والشوق لحضرتنا إذ كنت أنا السيد ورغبتك وطلبتك وأكبرت شأنك بالكتاب إليك وبالرسول وأنت مستمر على الإباء وكرهت حضرتنا وكرهت حضرة رسولنا وكتابتنا فانظر ماذا يلزمك عليه فإني

²¹ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عينك".

حكمت حكماً لا يبذل أن أوجه رسولا منا معداً للغضب والإغاظة والنكال فيجرك إلي رغماً على أنفك ذليلاً مهاناً مغضوباً عليك ولا أبالي فإنك قد تعديت طورك حيث أنفت²² منّا واستعملت نعمنا فيما يبعدك منا فعن قريب يظهر أمرك فتكرم بإكرام لم تعرفه ولا يخطر في قلبك إن امتثلت أو تهان إهانة لا تخطر في بالك ولا طاقة لك عليها إن خالفت فاقراً كتابي بقلبك وكليتك فلا أعذك بجهل ما فيه لأن الرسول بيّنه لك وإياك ثم إياك من الاعتزاز بغيرنا فإنك ملحوظ عندنا مكسوب لنا ولا حق للغير فيك اللهم إن أردت الهلاك بالبيان فلك الخيار في إصلاح نفسك وإهلاكها وكم أهلك نفسه ممن قبلك عظمتهم وأرسلت إليهم نعماً منا فعشقوها فأتلفتهم عن خدمتنا وسيادتنا وقد بلغ بعضهم بسببها دعوى السيادة والحرية تعالياً وتكبراً وطغيانا عنا وإياك أن تكون مثلهم وكم من عبد أرسلت له وامثل ف قرب معظماً مكرماً بما لا يخطر على قلبه فضلاً أن

²² أَيْفَ: تَقَرَّرَتْ نَفْسُهُ مِنَ الشَّيْءِ أَيْ تَلَوَّهَ عَنْهُ، تَرَفَّقَ عَنْهُ.

يعرفه أسلم تسلم وإلا فلا فامثل أمرنا فمن نسينا نسيناه ومن تأدب معنا أغنيناه ومن تجرأ على كتابنا أهلكناه فذلك عادتنا المستمرة إلى الآن وإياك أن تسلك سبيل المغضوب عليهم من اليهود أو سبيل الضالين ولا سبيل من أنكر وجحد وجودنا وقهرنا وقد بالغت في الأعذار فقد أعذرتك نجماً على نجم فكلما رجعت قبل نزول غضبنا قبلناك لكن نزول غضبنا غير محقق عندك فامثل بالفور مع الكتاب أول وهلة وعظم أمرنا كما أمرك عظمناه مع أنك عبد مملوك لا طاقة لك على شيء وإنما اصطفتك بالخطاب وناديتك بكل ملاطفة لتكون سعيداً فالسعادة ما علمته لك سعادة لا ما تعلمه أنت فاقدم أدبر لك واترك معي تديباً وإياك ثم إياك من البعد عنا فإنه عين الهلاك وقد ناديتك وأمرتك لحضرة جمالنا وبالغت وأطنبت لك في الكتاب وكررت ما لا يجب تكراره وعظمتك بما لا تستحقه فافتح عين بصيرتك واعرف بأنك عبد مطلوب للحضرة فنفرت فسامحت مرة بعد مرار والسلام من سيد عظيم قاهر غالب على أمره مالك كل رقبة شديد العقاب غافر الذنب مؤرخاً

بتاريخ بلوغ العبد التكليف والقوة والشدة والفراسة لخطاب سيده ونحن عنك أغنياء وعن غيرك لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقين، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾²³ . فبما رحمة من الله لنت وكن عبداً مطيعاً لأمر سيده فتنبه أيها المسكين من سكرتك التي تقلب لك الأعيان بالأضداد فتنظر السماء تحتك والأرض فوقك لما فجأك من سكر غمرة غفلتك عن مولاك فقد ضبعك إبليس بمثل ما ضبعته حظوظ نفسه لما ترأس على أهل الجنة مائة ألف واثني عشر ألف وخمسة وعشرين عاماً ومثله في السماء ومثله في الأرض يعلم الملائكة معرفة الله ويقررهم التوحيد مما علمه من شبه القرب من سيده فعظمه سيده بالرياسة الملكية والملكية فضبعته الحظوظ مع مولاه جل وعلا حيث بنى أمره على الإجارة على العبودية فسرى ظلام الحظوظ وسوء الأدب في كليته فتجبر بما نزل به من هواه وتمرد على سيده وعلى عبد

²³ (128) سورة التوبة.

سيده فأبدي ما عنده من الغلظة بسبب الولاية على عبيد سيده وفسق بطغيان النعم وانقلب أدبه وحاول لباس سيده يتصرف بلا إذن من سيده فظهر ما كمن من خبثه وسوء طويته فلما انجلى أمره واتضح فسقه في العوالم كلها انقلبت صورته وصارت عين النجاسة الغليظة بسبب حظوظه فاختره سيده وهو أعلم به يوم ملكه ولم يرض بقضائه وزاده سيده نعماً على ما عنده ليهلكه استدراجاً على عادة سيده مع كل أحد إن الكلب العقور لا يؤخذ إلا على النعمة فرش له بالنعم ليكبر ويزيد علوه على سيده واستكباره فبقدر الصعود يكون الهبوط فأظهر سيده لصفوة مملكته عنده ظاهراً وباطناً إني خالق آدم من تراب وجاعله عليكم خليفة نقمة على المغتر الذي لا يعرف نفسه فأعماه الجهل على الرجوع لسيده إبليس فرضيت الملائكة وأذعنت قبل ظهوره وبايعت وعزلت رقبة الظالم الجاحد امثالاً لسيدها لما فطرهم سيدهم عليه من آداب

الحضرة. ((رب مبلغ أوعى من السامع)).²⁴ فقرر إبليس الملائكة معرفة سيدهم فوعتها وطحن هو بسيف المكر لما تعرض له من عدم إقامة الوجهة لسيده بل يعبده لغرض نفسه فلما حصل عليه في زعمه ظهرت لوازم باطنه فأظهر الحق جل وعلا صفيه خليفة عنه في سائر الأحكام الملكية وأقامه مقامه في إفاضة ما يريد جل وعلا أن يمد أهل مملكته ظاهراً وباطناً فيسيل منه ما سرى إليه من الأمر الإلهي إلى أهل دولته جل وعلا ترتيباً لسياسة ملكه على وفق ما سبق به علمه اعتباراً للقدرة الباهرة والسياسة القاهرة فهو المنفرد بالملك والملكوت فلما برز صفيه أمر ملائكته بإظهار المبايعة له بمثل المبايعة قبل ظهوره بعد تعليمهم سبب فضله وهو أنه علم من سيده ذوات ذرات الوجود الإلهي وعلمه في طينته ترتيب الملائكة وظاهرهم وباطنهم وما يراد به وسائر خلقه فانطبع ذلك العلم اللدني في طينته فصار العلم ذاتاً له فعلمه سيده أسماءه

²⁴ الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة

وخواصها ولوازم التصريف بها فأظهر الصفي طلب المبايعه بما تجلى به سيده فبويح مما سوى إبليس الرئيس قبله فإنه تجبر على أمر سيده فاستكبر كل الاستكبار فظهر ما انطبع منه في أول نشأته ورد الكلام على سيده بعدم قبوله العزل وعدم الرضى بجلوس آدم في كرسي الخلافة فراوده سيده فقال اللعين في جوابه لا أذعن له ولو تحرقني بالنار على عادة النفس الخبيثة فصدق عليه أنه طلب النار والعقاب من سيده فأجابته غيره سيده وعزتي لأخلقته لأجلك ولأعذبك بها عذابا لا يعذب به أحد ولتكونن أسوة لكل من تمرد على أمر سيده فقال اللعين رضيت بالنار فهي أحلى من ولاية من خلقته من الطينة يتصرف في فلا يقال علي أنه عزل بسبب الطين فأقسم عليه سيده إن لم يرجع من عتوه حتى يهلكه بإخراجه ومن تبعه في حضرة قدسه فاستحلى الطرد واللعن والنار والخروج عن سهم الرحمة بما زين له ظلامه الذي نشأ من حظوظه مضربا على أن العبد لا يريد مع سيده شيئا فأراد لعنة سيده به برياسة الحكم فطرد فصار قبلة للهالكين بالحظوظ مع السيد وهو إمام

كل من يعبد الله على حظ نفسه فإن أصابه خير لنفسه مناسب لحظه يفرح وإن أصابه قدر غير ملائم له انقلب على وجهه فخسر بما خسر به إمامه. فإذا تمهد لك أن كل عابد للدنيا والآخرة فهو مقلد في عبادته إمامه المطرود المسلوب خير سيده فلا يجيء منه شيء لأنه لأنه إمامه يجد مساعاً ويجد معه نجاسة لأن إبليس تنجس بنجسة الحظوظ فلا يعيش إلا في نجس الحظوظ للمناسبة ولأنه ولي على من شابهه في الحظوظ متصرف فيه لأنها نهجه وسبيله ومواضع عطبه فيعطب بها كل ذي حظ من أولاده الجن أو من أولاد من عزل من رياسة آدم عليه السلام فقد حلف يميناً مغالطاً على سيده لسوء مخبره أن كل من عبد سيده من أولادهما حتى يدخله مدخله قال له سيده لك ذلك فإني أغني عن الشركاء فكل من شركني في عبادته بحظ نفسه أعذبه مثل عذابك فرضي إبليس فأمر سيده أن يختبرهم ظاهراً وباطناً فمن ناسبه في أصل هلاكه يزلزل

بخيله ورجله .²⁵ وأعطي تشكلا على عادة أهل فطرته يتشكل في ظواهر العابدين وبواطنهم فيحرق كل من كان على شفا الهلاك بعدم رضاه بأمر سيده فزين لهم مثل الرياسة والعظمة والحقد بجلب الانتقام والغضب والغش إلى ما لا نهاية له من لوازم الحظوظ النجسية فيسكن له بجيوشه وخيله بساتين باطنه فيوسوس له بالزلازل والصواعق النجسية فزين له أمره وذاته ودينه ويصغر له غيره من عبيد سيده فيحتقرهم ويعز الغافل المضبوط المحرق بهوى نفسه من الحظوظ نفسه وكبير أمره فيمتلئ باطنه بغضب سيده وسخطه ويسخطه يريد استعلاءً على عبيد سيده فلا يزال إمامه يريه بصغار المخالفة لأمر سيده حتى يزين عظامها فيضحك عليه بأنه شيخه ينفعه فيخلصه فلا يبرح عليه حتى يزين له عدم الرضى بحكم سيده

²⁵ ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

وأنه حر لا حكم لسيده عليه ويتبرأ منه ويقول له إنما وجدتك
ممتلاً بنجاسة الحظوظ المنسية عظمة السيد فنخستك
فتبعني ولا تأثير لي ولا قوة ولا طبع يمنعك عن السلوك
لمولائك وإنما من باب الذيب الأبتري يجب أن تكون الذياب كلها
مثله فافهم عن الله وطهر نفسك من رذيلة الحظوظ فإنك إن
فعلت فلا يجد المطرود المعرض للإغواء محلاً نجساً فيك
فيجد النور فنقتله رائحة الإخلاص وتنفر جنوده عنك فيسلم
قرينك كما أسلم قرين الصادق صلى الله عليه وسلم .²⁶
فيعينك على ما أنت بصدده من الإخلاص وتشرق مرآتك
بصيرتك وتفتح عيونها كلها فتنظر بها سيدك وتحيط بها بذرات
عبوديتك فتخرق ذاتك بأوصاف مولائك بصحة توجه جميع
أركانك بالتعلق بربوبيته فتعبد بشعرك ولحمك وعظمتك وروحك

²⁶ قال ﷺ: ((ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُهُ من الجنِّ. قالوا: وإيَّاكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: وإيَّايَ إلا أنَّ اللهَ أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخير)).

الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم:

من غير شاغل عن سيدك فتحظى بالإمداد الإلهي من غير
تعرض له ولا قصد ولا خطور لعظمة جلاله فلا يخطر ببالك
على سبيل الذوق أنك عابد ولا عامل ولا مستحق شيئاً على
سيدك لما دهمك مما عاينته عبوديتك من الفناء الصرف
والجمود اللازم فيغرقك ما شاهدته في بحر العبودية فتكون
عبداً حراً لا قيمة لك ولا تنزك السماوات والأرضون لما كنت
عليه من وصفك الأصلي كما خرجت من بطن أمك فتحبك
العوالم كلها لضعفك كما تحب الصبي يوم برز لأنه لا بشرية فيه
فما من واحد إلا ويحب أن يقبل الصبي ويضمه ل صدره لما عليه
من الفناء في بحر الضعف وهو لا يشعر بمن أحبه ولا بمن
كرهه بل اندكت مراسمه بضعف أصله متوجهاً لربه فعلامه
العبودية أنه لا يحب شيئاً ولا يكرهه ولا يدفع عن نفسه بل هو
في قبضة السكر الإلهي موجهاً لها ميتاً لها فإن أحس بالحرارة
يكي من غير قصد فلا مطمع لك في الرجولية التي هي محض
العبودية حتى تندك مراسمك بالضعف كالصبي يوم زاد فافهم
فعر العبد الضعف والعجز والانسلاخ عن نفسه وعزه وغناه بربه

فبعد الغني لا يتحمل مشاق الهموم في أمر الرزق وعليه فالعبد
البكاء وهو الذي لا يرضى بحكم سيده على أي حالة نزله
يتسخطها يغضب سيده وينزله من مقام حضرته عنده لأنه لم
يرض أن يكون عبداً بل يتحسّر على الباس وهيئة سيده
المالكية له فيترتب عليه غضب سيده فيمهله حتى يأخذه
بالكلية بالقهر والنكال ولا يبالي لأنه تعدى طور العبودية بزعمه
فافهم وعليه فالعبد يقدم حق سيده ولا يشتغل بنفسه إلا بإذن
سيده فإن أمره سيده امتثل محبة وشهوداً لحلاوة أمره فلا
يصعب عليه شيء من أوامر سيده ولو فيه حتف أنفه بل يتلذذ
بالأوامر وينقبض بالإهمال طبعاً من غير قصد بل بفيض إلهي
لأنه لا حق فيه لنفسه فيلاطفه سيده بأنواع التعظيم ولذيذ
الخطاب وإفاضة بحور أسمائه وصفاته عليه فيقوم لأمر سيده
بكلية مؤيداً بأنوار ربه فيعبده في نفس واحد بأعظم عبادة جميع
العامة فينوب عن العامة من العبيد في أداء الحق المالكي
فتعطى له مؤونة تصلحه أعظم مما يخرج له بقية عامة خلقه
لحسن طويته وفراغه من نفسه وامتلائه بربه فتتفعل به الأفعال

الإلهية من غير شعور ولا قصد فتظهر له لوائح بوارق الحب الإلهي فينتعش انتعاشاً قوياً بربه فيسلب خلعة الأسماء ويحلى بسكر بحر العمى الرباني فتصير بحور الأسماء طوع يده مجرداً من لوازمها حتى يرد إليها فيعام به في الطمس مطموسة حواسه بسيده فإذا أفاق من سنة سعادته صار جبلاً راسياً راضياً مرضياً كاملاً ناقصاً عند نفسه جالساً على كرسي واحد من كراسي عبودية سيد الكاملين المكملين صلى الله عليه وسلم سيد الكل وإمامهم التي عددها بعدد العارفين من أمته ومن الملائكة الغير المتناهية في علمنا فإذا أجلس على كرسي نبيه أفاض عليه سيده قوة نوره حتى يشهد به لوائح بوارق سماء نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم أنه حقاً إنما يعبد الله بنور من جلس على كرسي عبوديته فيعرف قدر نبيه بما لبسه من مرتبة نبيه وتيقن أن روحه التي توجه بها عين نبيه فيلقي السلاح لوساطته جازماً بأنه عاش في ظله لولاه لبقني عدما قبل وجوده فتأدب بآدابه صلى الله عليه وسلم ويتحرك بحركته بحضوره بربه فيسمع صلاة ربه عليه بجميع قوى أركان

سر ذات مرتبة نبيه فتخلع عليه حلة نبيه بحسب ما قسم له منه
فيميز وسائطه بينه وبين نبيه فيعطى لها أحق دوائره فيتمنى
حينئذ إذ رأى ظليته أن يكون خادماً لأمته بما اقتطفه بعناية
ربه فترجعه حجابية نبيه للشفقة على كل خلق بحيث لا يميز
إلا فعلاً واحداً لربه ويكون مركز نكتة صفاء قلوب خلقه مباحياً
لنبيه بيعة العقبة العرفانية فيا لك من عبد إن سلكت مسلك
التوحيد توحيد العارفين بإحسان الوجهة في الشئون كلها ويا
لك من ضال إن أشركت حظك بعبادة سيدك فافهم ترشد
وإياك أن ترضى أن تحط عن درجة أهل الإقبال الكلي لحضرة
قبلة سيدهم فمن أقبل على الله بكليته أقبل الله عليه وأقبل
معه جميع خلقه وقد علمت قبل أن كل خطاب ورد مما يرشد
لطلب الثواب على العمل إنما يسلك به مسلك الصبي الهارب
من حضرة كافله وأن كل ما ورد عن نبيك مما يرشد له فإنما
هو من باب التربية بصغار العلم قبل كبارها فإنه أمر أن يخاطب
الكافرين بما يفهمونه ويستقدر لهم حظهم الذي هو صنمهم
واعتقادهم الفاسد من نسبة الولد له جل وعلا وغيره مما يرشد

لسفاهتهم بقتل أولادهم إِملاقًا .²⁷ وغيره لعلهم يرجعون وأن
يخاطب العاصين بما يقطعهم عن المعاصي بإنذار وتبشير وأن
يخاطب التائبين بما لهم من النعيم المقيم ليثبتوا على الطاعة وأن
يخاطب المخلصين بما يقطعهم عن ملاحظة الثواب بعملهم
وأنهم ليسوا أهلا له لولا فضل الله جل وعلا وأن يخاطب أول
المقربين من الدرجات الأربعة لما يرشدهم لنفي نسبتهم العمل
لأنفسهم وأن لا تأثير لمخلوق أياً كان ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ﴾²⁸ . وأن يخاطب خاصة المقربين من الدرجة الثانية
بأنهم ما امتثلوا أوامر الله بأنفسهم ولا اجتنبوا مناهيه بها بل
بمحض فضل اصطفاي ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
رَمَى﴾²⁹ . وأن يخاطب أهل الدرجة الثالثة من المقربين بأن
الشوق هو عين الإرادة والإرادة حجاب عظيم وأن المشتاق

²⁷ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (31) سورة الإسراء.

²⁸ (96) سورة الصافات.

²⁹ (17) سورة الأنفال.

لازال مع بقية وأن يخاطب أهل الدرجة الرابعة بأن اللذة التي حصلت لهم بعبادة ربهم ليست منهم بل منه جل وعلا وأن يخاطب العارفين الموحدين بأن الله وحده في ذاته وصفته وفعله فلا تعمّل لأحد في توحيد بل هو الذي وحد نفسه جل جلاله فلا يحتاج إلى من يقول هو واحد ولا من يقر به ولا من يفوض له ولا من يتوكل عليه فهو الغني المطلق هو الصمد عن كل شيء فيغنيه علمه بكماله بلا مكمل ولا من يقول كامل فيتفرغ العارف عنده من كل قوة وحول فيزهد عن نفسه فانياً بربه ويزهد عن توحيد وتفويضه وتوكله وتسبيحه وتقديسه غير معول على عمله ولا عبادته مضرباً عن الغير والغيرية آيساً أن يصله شيء لم يقدر له أو عليه راضياً بقدره فحينئذ يكون عبد ربه حراً بنبيه واقفاً بربه متحرراً به بين أصابع ربه مقبوضاً بقبضته مكفولاً برعايته عائشاً بكنفه مفرغاً من كل علة تائباً لربه ثم لا يزال نبيه يخاطبه بأن حضرة ربك أمامك فجد على ما كنت عليه من الجمود كجمود القلم بين يدي الكاتب فخطاب صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم يظهر مظاهر مراتب أمته

وهو خطاب واحد وهو إفراغ القلب من الغير والغيرية لكن خطابه أولاً بحسب تهيئته شيئاً فشيئاً حتى يصلح للفهم الرباني فإذا علمته بتأمل عرفت أن الشريعة متحدة لا خلاف فيها ولا غبار عليها وأن المجتهدين كلهم على حق وأن جميع أقوال العلماء تفسيراً أو أصولاً وفروعاً ومعقولا ووسائل لها من نحو وتصريف وغيره من جميع خدام الشريعة مرجعها إلى قول واحد وهو الدلالة على الله بحسب ما تجلى صاحب الشرع في قائله بكونه صلى الله عليه وسلم ظهر فيه مظهر مقام من مواقف الدين التسعة فمن كان شرب من حقيقة صاحب الشرع مقام التوبة فلا يفهم من الشريعة إلا مشربه وتجده يباليغ في تحرير المسائل محاولاً أن يطبق جميع السنة الشريعة على مقامه فيفني عمره كله في الأجوبة والاعتراضات وحل المشكلات عنده ويعد مجلسه مجلس التحرير وغيره ممن فوّه لا تحرير فيه ويعارض بين النصوص الشرعية قصد نصيحة الأمة فلا يحصل من الشريعة إلا ما ذاقه فيقيد ويعمم بحسب اجتهاده وهو صادق في ذلك كله فإنما الشريعة جميع ما تحته كطبقات

الجنان الثمانية فمن كان أسفل الجنة لا يطلع ومن كان فوقه يستغل ومن كان في الثامنة أعطي السراح في الجنان كلها ولا سبيل لمن سفل لما فوقه ليظهر التفاوت والتمايز والتفاضل بحسب الأذواق في الأدب ومن جلس مجلس الموقف الثاني كذلك فاعلم أن الشريعة ذات واحدة لها عين قائمة بأركانها كساق شجرة تفرعت منها غصون متعددة بحسب الغلظ والرقّة ولها ثمار مختلفة وأذواق مخالفة فمنزلة المجتهدين إطلاقاً كغصون الشجرة الكبار التي تفرع منها غصون متعددة ومثل العلماء غير المجتهدين كمثل غصون رقاق مدرّكها رقيق لطيف لا يدركه إلا أهلها لرقتها والغصون كلها مآلها للشجرة والشجرة مآلها للماء وهو الذي انزرع فيها جهد روحها فمثال صاحب الشرع مثال الماء والماء منزل من الله جل وعلا ليظهر به من رجس الكفر والمعاصي والحظوظ فالمعصية على أقسام مغلظة هي الكفر مبني على الجحود ومتوسطة هي المعاصي مبنية على اتباع الهوى لا الاستكبار على الربوبية وخفيفة هي الحظوظ مبنية على طلب الثواب الذي هو من شأن المستأجرين لا

العبيد فالمعاصي للسيد من حيث هي مذمومة مطردة من
حضرة الحق فمن قوي مدركه من كبار العارفين ينظر ببصيرته
إلى جميع الشجرة ويغترف من أصلها ويوجه كل ذوق إلى أصل
غصنه ويفهم أسرار الشريعة كلها ولا يبقى عنده نوع خلاف
فيعبد الله عليها كلها من غير تنزل عن مقام عزيمته ومن لا ذوق
له إلا في مقامه يتكلم بحسبه لا غير وينصف وربما يشغله
العلم عن العبودية والمطلوب منه أن يتقن عمله بإحسان الوجهة
لمولاه فينقله بحسن أدبه لما هو أعلى فإذا رقى يرى ما دونه
جهلاً محضاً حتى يوصله له ولا يتحقق بما بيناه ويصدقه إلا من
أعرض عن نفسه كل الإعراض وأقبل على مولاه كل الإقبال
فإذا استولى على عين الشريعة بانسلاخه عن نفسه وزهد
عنها بحيث لا يحبها ولو طحنت بأرجية الأقدار يتبين له ذوق
ثمار الشجرة الربانية فتكثر الواردات بحسب أذواق غلتها
فينبعث عنها استعظام نعمة المنعم فيشاهد سيده في كل ذوق
كروية وجهه في مرآة فينظر محاسن الألفاف والأقدار فيرى
قدراً كالجبال تسقط عليه فيشتاق للاندقاق ويفرح بالمراسخ

الإلهية كما يفرح صاحب الحجاب بالجنة فكلما جاءت له لجة
تعرض لها تلذذاً وإبراداً ياذلال نفسه لمولاه ولا يرى راحته إلا
في الصواعق والعتاب علماً أنه ليس أهلاً للانبساط فيفرح
بعذاب حبيبه علماً منه أنه ما عذبه إلا ليقربه فبقدر الجلال
يكون الجمال فترى صاحب عين الشريعة يصدق كل قول
ويعده صحيحاً ويستغرب مدركه حيث كان في المقام الأدنى
ويشير بعبارته لمقام من فوقه فترجع الشرائع عنده شريعة
واحدة والأنبياء ذاتاً واحدة يجمعهم مقام الدلالة على المولى جل
وعلا وتصير عنده الطرق طريقة واحدة لتوصيل كل طريقة إلى
الحضرة القدسية ويرى الشيوخ كلها ذاتاً واحدة لقيامهم بالدلالة
على الحبيب جل وعلا سبحانه ما أجله وأعلاه وأظهره وأخفاه
ويرى المومنين الموحدين من آدم إليه ملةً واحدةً ويصور كورة
العالم بمنزلة ذات واحدة موجهة لسيادة مولاه ذليلة خاشعة
مطمئنة مرتعدة خائفة عابدة متبرئة من الحظوظ الجوهريّة
معرفة بالملوكيّة راضية بصواعق سيوف الأقدار المالكيّة
فيتحرك بتحرك الكورة ويعبد معها موصوفاً بذلتها فينصبغ

بانصباع عبوديتها فيصار شعرة من شعراتها فيحصل له فضل جماعة شعراتها لمقام التعاون فيفاض عليه في كل رعدة فيوض سائر أخواتها من أعضاء الكورة لأن الكورة بمنزلة ذات رجل مركبة من أجزاء متوقف بعضها على بعض فكل جزء يمد جميع الكل ويفاض على الجزء ثواب الكل لمقام التعاون مع قصد الجزء ذلك ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى)).³⁰ فإذا فهمته علمت أن بركة العارف ممددة لسائر الأكوان وأن الأكوان كلها ممددة له للأخوة في التعاون على التعلق بالربوبية وأما الجاهل بهذا فلا أخوة مع الكورة ولا معاونة بحسب نيته فلا حظّ في ثواب الكورة جزءاً وكلاً فإذا تمحضت لمولاه يمدك الوجود كله وتمده ويعطى لك مثل هذا فإن نويت النيابة عنه في تحمل الزلازل الجلالية تعطى ثواب من أسقط فرض كفاية عن ذرات الوجود وتحظى بمحبتك أهل عبوديته ويتوجك بتيجان رؤوس أهل مملكته فترزق عز السيادة

³⁰ الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

الإمدادية فاعلم أن العبد ليس من شأنه الطلب بباطنه إنما شأنه التضرع بظاهره معولاً على خزائن سيده مستسلماً لأمره فإذا طلب يقول لسان سيده أقبل على شأنك فإنك بمرء مني فلا تحتاج لإرشاد لحوائجك فاشتغل بما طلب منك من الخدمة والأدب فإنما أنت آلة للخدمة لا غير فلا يغرنك أن تعاميت عليك في حال الإساءة وفي حال العجز والكسل فمقصودي فيك أن تفني أوقاتك بالخدمة التي ملكت لها وليس من شأنك أن تباسط السيد ولا أن تلبس إزاره ورداءه من أوصاف السيادة فإن أقبلت على شأنك تصلك نفقتك التي ضمنتها السيادة يوم ملكت وأقبلك ولا أبالي بعد أن قربتك بعمل بل أعظمك من بين الممالك فيعظم أمرك عندي وشأن العبد أن لا يحوج سيده إلى أن يقول له افعل كذا لأنه عرف خدمته يوم ملك ففي وقت الحرث يهيب للحرث بلا أمر لأنه أذن له فيه بالملك وكذلك بقية الأسباب وينسب حوائج سيده لنفسه ممتلاً قلبه بسيده وخزائنه من غير تعويل على الخزائن لأنه لا حظاً له فيها إلا بالملك فيمتلى قلبه بمحبة سيده ولا ينسب

الكمال إلا له لأنه مالكة ولا يرى فضلاً لأحد عليه إلا من حيث الوساطة من سيده فيعظمها جريا على الأدب مع سيده الذي أرسله له فيغضب بغضب سيده ويفرح بفرحه ويحب كل من نسب لسيدة ولو ريحه وبلده وكلبه فتجده يعظم كلب سيده وينسبه لنفسه ويغار لكلب سيده فلا يتركه لأحد ولو الموت عليه لأن من أهمل كلب سيده فقد أهمل شأن سيده ومن جملة الشئون جميع ما نسب له فيعد كل من يعظمه من صاحب بمنزلة سيده لسيدة ولا يرى كلب سيده إلا بعين الإجلال والمحبة فيفنى في حسن كلب سيده مضرباً عن خلقته ولو مشوهة بل يستحسن كل ما ثبت لسيدة فيمثل أوامر سيده بحيث لا يشتغل ببشريته ولو كان مرجوماً ببول أو غيره حتى يرضى سيده وأشار له بالراحة تصريحاً أو تلويحاً يفهم أمر سيده لأنه فان في سيادته فلا يرى عزاً لنفسه خارجاً عن خدمة سيده بل عزه محصور في نسبته لسيدة العظيم الشأن فيشرف بطاعته ويتجنب البطالة فإنها سبب المقت والإهمال فيزين العبد نفسه بالنظافة ويجمل هيئته بنعمة سيده

التي أفيضت عليه منه فإنه يحب أن يراها عليه حال المشاهدة ولا يهمل نفسه بالمقت بالتقشف مع فيض مدد سيده عليه فإنه سم فإنه يظهر إضاعة سيده له ولا يشتكي لأحد ولو ضيقت طرق النفقة بل ولو تابعت عليه مقامع سيده بالنكال بل يصبر ويعرف أنه شأن العبيد ولا ينزل حاجته على أحد لأنه لا حاجة له وإنما حاجته حاجة سيده فليترك لسان المملوكية يتكلم مع حضرة إمداد سيده فإنه مقبول بالإحسان والإفضال ولا يطمئن بحالة ألبسها بل يخاف من سيده من أن يعريه من العمل بحيث ينزعه من عمل الخدمة ويولي غيره أو يجرده عن عزه الذي له السيادة بسيده فيخاف أن يخرج منه ويطرده فهذا أدبه فمن قدم أمر نفسه على أمر سيده فقد أخسر الميزان وذلك قلب القضية وقلب البرادة .³¹ معناها أنه عمل برادة سيده فوجد ماءً وأراد أن يسقيها فقلبها للأرض فإنه لا يملؤها ولو بقي مائة ألف عام لأنه عكس القضية فلو أحسن وجهتها

³¹ البرادة: إناءً مِنَ الطَّيْنِ الأَحْمَرِ عَلَى شَكْلِ إِبْرِيْقٍ لَكِنَّهُ أَضَحَمٌ.

على السقي سقاها نفساً واحداً فكل من عظم أمر نفسه وأهمل أمر سيده بحيث جعل أمر نفسه مقصوداً بالذات وأمر سيده أمراً زائداً ثقيلاً عليه يعمله بكلفة وأمره سهلاً حلواً ولو بمشقة فيكون حاذقاً في طرق نفسه جاهلاً بأحكام سيده متراخياً فيها متعذراً بالجهل وأنه مشغول بنفسه فذلك دليل على انطماس البصيرة منه وعلامته أنه إن اشتغل بذكر سيده يثقل عليه وينام ويكسل وإن اشتغل بنفسه نشط ولو بقي الليالي ذوات العدد لا يغلبه النوم وذلك لأنه عاشق في حظ نفسه فانياً فيها من دنيا وآخرة وهو وقيل وقال والعاشق راحته المعشوق فلا يهتم إلا بأمره ولا يمتلئ قلبه إلا به فإذا ذكر سيده الغير المعشوق ثقل وتمرض وتعجز فصار سيده الذي يعبده هوامه وأمر سيده مطروحا عنده وهو عين الحجاب والحجاب بينه وبين سيده بعد النسبة لا غير وهو أنه عكس القضية فلو بقي عليها عمر الدنيا ما عرف نقطة ماءٍ والماء فائض على وجه الأرض دائماً فلو ألقى لمربٍ عارف كيفية الغرف من الصفاء لا اعترف ساعة وروى فعليك بتعظيم أمر سيدك من صلاة وذكر ويجعل

نفسك في يد سيدك فإن رذك إليها وأذن لك في قضاء حاجة نفسك فامتثل بالفور ثم توجه لنحو سيدك فإذا سمعت نداء سيدك وهو المؤذن فافزع وغب عن أمرك كله ولو جائعاً كنت فإن الحاكم الذي يحكم عليك إذا أمرك بالإتيان إليه في ساعة معينة لا يقبل منك قبلها ولا بعدها فيقول لك إن كنت الأمر فاقدم في الوقت الذي عينته وإن كان الأمر أمرك فتربص فعن قريب يحل البلاء ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّمَلَانِ﴾³² . فالعبد إذا أمره سيده فامتثل ظاهراً وباطناً فرحاً حيث استعمله سيده وعمل العمل المتقن الذي يدور له الفلك بسهمه وحرث مثلاً حرثاً متقناً وزرع زرعاً جيداً في بلدة طيبة ونقاه من شوك العلل النفسية وحصده ودرسه وذراه ونقاه تنقية أخرى من الحجارة وطحنه طحناً متقناً وغربله عملاً محكماً وعجنه عجنماً محكماً وطبخه طبخاً محكماً يدور له الفلك بغلة عمله وهو ذوق سر عمله مع رضى سيده وإن أمره سيده وثقل عليه العمل وعمل

³² (31) سورة الرحمن.

عملا بالخيانة وغش فيه ويرد باطنه كلاماً على سيده فينسب سيده للظلم ويخاصم باطناً ولم يزرع بذراً متقناً وإن زرع أهمل تنقيته وإن نقي فرط في جمعه ودرسه وتذريته فإنه مستوجب عقوبة سيده ولا غلة له بل حظه العقاب من سيده فهذا شر الممالك فافهم ترشد فإذا فهمت علمت قوله جل علاه في بساط الظهور ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾³³. وأما بساط الحكمة الإلهية ما خلقتك لأن تريد وإنما خلقتك لأظهر فيك آثار قدرتي واعلم أن الإرادة والتعرض بالأعمال من أكبر العوائق على الحضرة ثم إنه جل وعلا خلق إمام المتقين صلى الله عليه وسلم قائداً لحضرة الله وخلق إماماً للضالين قائداً لحضرة غضب الله فكل منهما يدل ويرشد إلى وصفي كرمه وانتقامه جل وعلا فالنبي يبين الطريق لأهل البصائر مجردة من الإرادة ويمني على لسان الله أهل الغفلة لسياسة الرجوع من غفلة الحظوظ فرجع

³³ (56 و 57) سورة الذاريات.

البعض من سِنة غفلة المعاصي وسكر الغفلة الحظ الأخروي أو الدينوي فسكر البعض السكر الذي يخفى إلا عن العارفين فيبقى في غفلة السكر النجس المحرم في دخول حضرة الصلاة وحضرة الله تعالى ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾³⁴ . وأعظم السكر الخفي وهو سكر المقاصد بحيث يعبد لنفسه لا لربه فيجب عليك أن تتجرد من هذه الداهية الخفية ليصح الدخول في الصلاة صلاة المقربين وإبليس يدل بخيله ورجله .³⁵ ووسوسته ومعه لا يقطعه بقوة بل بوسوسة لا غير فليس لإمام المتقين أن يدخل إيماناً في قلب أحد إكراهاً وليس لإمام أهل الحظوظ أن يدخل الشقاوة في قلب أحد بل الفاعل المختار جل وعلا واحد في الحضرات كلها فمن امتلأ قلبه

³⁴ (43) سورة النساء.

³⁵ ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير الطبري.

بالله يسقه إمام المتقين له ومن امتلاً قلبه بحظوظ يسقه إمام
الأشقياء للشقاوة فنأمرك أيها المشفق على نفسه بالتأمل بالعقل
الإيماني فإنه يتبين لك أن ما كان عليه عباد الحظوظ الدنيوية
والأخروية رجس من عمل الشيطان لأنه سبب غضبه وأفرج
قلبك من كل غير وغيرية وكن عبداً حراً من رق الأغيار
مقصوراً على ما خلقت له من عدم القصد والإرادة تكن عبد
ربك إضافة محضة مكتسبة التعريف وإلا تكن مضافاً لفظياً ولا
تفيدك إضافتك للحق إلا أنك عبد القهر لا عبد الرضى فاعلم أن
الطريقة عندهم تتبع أقوال وأفعال وأحوال وعوائد وأخلاق إمام
المتقين صلى الله عليه وسلم فهي الطريقة الحقيقية النافعة
المستقيمة فتتبع أقواله وأفعاله فقط هو الشريعة العمومية
فأحواله صلى الله عليه وسلم مبنية على صرف العبودية من غير
إرادة رأيته هل كان يريد أن يكون نبياً في الأزل وقد كان نبياً
في الأزل أو ان الإرادة وهل كان يريد أن يكون أفضل عامة
الخلق فيه وقد كان فيه قبل وجوده وهل أراد أن يكون أعلم
الخلق فيه قبل ظهوره كل ذلك مفاض عليه من بحر الفضل

قبل ظهور أوان الإرادة فاعلم أن الله جل جلاله منفرد في ذاته وصفاته وأفعاله فهو الكنه الساذج الصرف المتجرد عن كل ما يدركه العالمون فهو القديم وغيره حادث أحدثه كيف أراد وأحدثه مع الزمان والمكان والأعراض فهو الحق جل وعلا وغيره مثل ظل غير ثابت كجرم في الضحوة وله المثل الأعلى والدليل وما يدرك من المدلول حادث أحدثه معه فلم يكن من يتحرك ويسكن ولا من يعرف جلاله فأحب جل جلاله أن يظهر وصفي كرمه الإحسان لأحبابه والانتقام في أعدائه وسبق في علمه جل وعلا أن يظهر أولاً فاتحة الوجود وخاتمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأظهر بفضله بلا سبب تقدم نوره وأدرج فيه نور حبيبه إدراج الظل الخيالي الذي لا يتصف بظلمة ولا نور ولا باتصال ولا بانفصال ولا بوجود ولا عدم فقواه بنوره المكنون وسقاه جل وعلا بما شاء كيف شاء فانصبغت نورانته صلى الله عليه وسلم وتميزت فسقي بما شاء الله بلا سبب ولا إرادة حظ فتعالى جل وعلا عن الأغراض والتوقف عن الأسباب والوسائط فسبحان من قهرنا بالظل فلا

تعرف ماهيته ثم تنزلت نورانته صلى الله عليه وسلم فانصبغت صبغاً لطيفاً تميزت فصارت محمدية فتميز بحر الألوهية من بحر الخليقة وهو عين المحمدية فلا ينبغي بحر الألوهية عن بحر الخليقة ولا العكس بحسب ما تعلق به إرادته لا بحسب ما يدرك وكيف فبحر الألوهية التي هي عين أم بحور الأسماء الحسنى يمد ويسقي بحر الخليقة الذي هو عين النبي المكرم المطلسم قدره لكل عارف أيّاً كان فامتزجت مدادية بحور الأسماء التي هي الأفعال في كنه نوره صلى الله عليه وسلم وآله فتنزلت حجابيته صلى الله عليه وسلم بقهر إلهي بلا إرادة ولا تعرض فانبسطت واتسعت وأشرقت إشراق الظلية المخلوقية فكل ما وصلت ظليته فهو قاب قوسية حد ملك مولاه فيه فهو صلى الله عليه وسلم ملك الله مظهر أسمائه وصفاته فانغمست ظليته صلى الله عليه وسلم في بحر رحمة الإيجاد والإمداد فتكونت روحه الشريفة من بين الرحمتين فهي أول الظهور من حضرة الطمس فسقاها جل وعلا بما شاء الله قدر ما شاءه فأوقفها بين يديه جل وعلا تقبل وتدبر في حضرة الجلال

والجمال فعرقت بما دهمها من الجلال وثبتت بما غشيها من
الجمال فسقطت نقطة عرق مناسبة لجرمية روحانيته صلى الله
عليه وسلم على كيفية لا يدركها إلا³⁶ العارفون فهوت في هواء
ملكوتيته جل وعلا فتلقته رياح الأسماء وذرتها نشأً وابلاً
فأمطرت مطر الرحمة وهو أول مطر فانجمعت أودية بحار قدرة
الحق جل وعلا فصارت بحراً مشتملاً على ذرات وأعراض
وأخلاق ولوازم ما يكون إلى ما لا نهاية له من أزمنة الدهر
الآخرة والأزمنة والأمكنة والجوهرية والعرضية وجميع ما يسمى
ملك الله فانزعت الأكوان من مائتته صلى الله عليه وسلم
ووصل ما وصل وفصل ما فصل واتحدت الانفعالات واستوت
في أصل الظهور باعتبار الفاعل وتخالفت أجناس المظاهر
المنبعثة المكنونة من الحضرة المحمدية فهو عين الأحمدية التي
هي عين الكنه فعل جل جلاله هذا ترتيباً لملكه لا غير من غير
داعية فتكونت الأكوان كلها من كونية ماء نقطة عرقته صلى الله

³⁶ لفظ "إلا" غير موجود في الطبعة الولى بدرب غف.

عليه وسلم فصار أصلاً أصيلاً لكل عدم مظهر مظهر بتأثير
أسمائه جل وعلا وصار منبتاً لمراد الله في ملكه وانحجبت عن
الخلايق كلهم حجابيته ووساطته وأصليته فصارت ألفاظ
العارفين تومئ إليها من وراء سجب الحجب النورانية فخلقت
العوالم من سماء وأرض وبحر وسائر عوالم الحق المتوالية
لسمائها وغيره فصار صلى الله عليه وسلم روحاً للوجود ومفتاحاً
له وخاتماً بحيث لم يتقدم له ظهور ولم يتأخر عنه ظهور بل ما
ظهر وما بطن إنما ظهر فيه وبطن فيه فصار صلى الله عليه
وسلم هو الكون الأمر الإلهي فهو المخاطب فهو الواصل وغيره
منفصل بحجابيته صلى الله عليه وسلم مدرجاً في نوره بين يدي
مولاه فغاية ما يدركه العارف ولو سيدنا إسرافيل إن حصل له
الأنس بسيد جل وعلا في وسط وعائه صلى الله عليه وسلم
فتنبعث له جيوش الجلال في مظليته صلى الله عليه وسلم
فكل ذلك بتقدير الحكيم بلا سبب ولا داعية ولا غرض
فخلقت الملائكة وجعلت سهم الرحمة لا حظاً للغضب فيها ما
عدا الثقلين الإنس والجن فلما عزل الحق جل وعلا إبليس

بحسب ما أشرنا له آنفاً وولى صفيه أبا أصل الوجود طينا آدم عليه السلام وخلق من ضلعه زوجته حواء فجعلها لبناتها عادة فما من زوجة إلا وقد خلقت من ضلع زوجها آنس سيدنا آدم بها في الجنة المقامة للعدل والخلود فأصدقها الصلاة على ولده طيناً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوحي إلهي فجعل الله جوهرة الوجود بأكورتها قبلة سيدنا آدم به يهتدى وبنوره يقتدى وبه يعبد ربه وبه يفصل أحكام الله وكان آدم قبلة الخلائق فبه يستضيئون وأمره الحق أن لا يغفل عن الوساطة فإن غفل ساعة تجر عليه المقادير بغفلته عن قبلته وإن ثبت بحضرة ربه ترتيباً لملكه فكانت نعم الجنة لطافاً لا تضر ولا تصدع ولا تسهل ولا تفجر دماً ولا قيحاً وأثبت فيها الحق شجرة غليظة تاريخ أربعين عاماً قبل وجوده فعرضها الحق جل وعلا مقدرة بغفلته عن الوساطة فلما وسوسته سيدتنا زوجته بوسوسة اللعين جالت قوته في الاجتهاد ذاهلاً عن الوساطة الممدة له فعام بنفسه في بحور الأوامر ولم يجد نهياً مصرحاً به عن حرمة الشجرة مساعداً حرمة المومنة زوجته فخفيت عنه اللوازم التي

تكفل بها الشيخ المريبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
فأكل الشجرة بعد أن قرر له الحق جل وعلا أنها مسهلة
وليست من جنس نعم الجنة وإنما نبتت قرب خلقه فلما أكلها
مساعداً زوجته المساعدة اللعين الذي غرها بالقسم بالله فخفي
عنها أن لا يكون في طوق أحد أن يتجرأ باليمين الكاذبة لقوة
إيمانها وأهبلها حزمها بجلال الله وأنه لا يطيق أحد أن يحلف
بالكذب فصدقته فلما مضى الأكل منهما ضحك إبليس عليهما
فلعن إبليس فسرت قوة الشجرة الإسهالية في عروقهما قبل
إيناس بدنهما بالإسهال فحصل إسهال منهما ووجع عظيم كوجع
الولادة فتوجع آدم فأراد أن يقضي حاجته فهربت منه الجنة
بنعيمها وثيابها لأنها حضرة القدس لا تصلح للقاذورات الشجرية
فلما تبرأت منهما نعيم الجنة وعظم الأمر سمي ﴿وَعَصَى
آدَمُ﴾³⁷ بخفاء اللوازم التي هي أن من أكل الشجرة الغليظة
يخرج من الجنة بسبب القاذورات وأن من أكل النعم اللطاف

يبقى في الجنة لأنه لا وجود لسبب خروجه فأخرجهما الحق إلى حضرة الدنيا التي تسع الإسهال ففرق بينهما حين الهبوط لتنع الألفة وينسى آدم وسوسة حواء له فتخف المصيبة بطلب بعضهما بعضاً فلما التأما نسيا شجرة الخروج شفقة عليهما فدلّه الله على الحرف الفلاحية وغيرها وتحمل المشاق فاجتباه الله بفضله ولعن إبليس بعدله وجعل الله سيدنا آدم أول خلفائه في الأرض والسماء فجمع له بين النبوة والرسالة والخلافة العظمى عنه في كل أمر فولد له ولد كثير مع حواء فمات فقّرت الخلافة في ولده شئت ثم إدريس ثم نوح وفي زمن نوح كفر من كفر بتبديل الأحكام الشرعية وجحد وأبى النسخ وأن الله يفعل ما يشاء فاشتد الكفر ستمائة سنة فأهلكهم الله بالطوفان ثم ولد لنوح أولاده وهي الباقية لا غير ثم إن كل نبي تقدم ورسول تنقطع شريعته بموته ولم تعم شريعة أحد بل خاصة بما قصه الله لنبيه فولد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم العرب وإسحاق بني الأصفر وبني إسرائيل وكثرت النبوة في بني إسرائيل تبكيتاً عليهم ونكالا وبقيت العرب في غفلة الفترة من شريعة إسماعيل

وبقيت فوضى لا نبي لهم من زمانه إلا ما كان في بعض القرى
مدین ونواحيها وثمرود ونواحيها وعاد ونواحيها قد خصصها الله
بالنبوة الخاصة فانقطعت النبوة بعده بموت صاحبها لأنه ما من
نبي إلا وانقطعت النبوة بعده بمجرد الموت ولم يتوجه للعرب
نبوة بني إسرائيل ولا بني الأصفر لأن صاحبها كلف بقوم
مخصوصين إلى زمن مخصوص ولم تكلف العرب من زمن
إسماعيل إلى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم تكليف أصول من
العقائد ولا تكليف فروع من القواعد بل هم سهم الرحمة
بجنسية أصل الوجود صلى الله عليه وسلم وغطاهم الله بفضله
ببركة نبي يظهر فيها فإذا ظهر أيس الشيطان من كفرها كما
أيس من شقاوتها قبل ظهوره لأنهم غير مكلفين وعليه فمن مات
قبل البعثة أو بعدها من قبل أن يظهر له في باطنه حجة البعثة
مات على الفطرة الإسلامية وإن كان يحارب لأنه غير جاحد
والكفر الجحود وإن أشرك في عبادته فهو خفيف في حقهم لأنه
لا تكليف إلا بالعقل ولا عقل إلا بالشرع فبحر الشريعة الربانية
هو الذي يمد البواطن فيسمى نور الشريعة عقل تكليف فمن

كان يقتل أولاده ويدفن بناته حيات ويستحلّ الزنى في الأمهات
والبنات ويستحل إراقة الدماء فهل يسمى عاقلاً ومنه تعرف أنه
لا عقل لأحد إلا بما أفيض عليه من حضرة الشرع ولا شرع في
زمن العرب فمن تبينت له الحجة البالغة في أمر النبوة نبوة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجحد بعده فهو الكافر
والجاحد فإن استند في زعمه إلى كتاب انقطعت أحكامه بموت
صاحبه يسمى كتابياً كافراً جاحداً ولاية سيده حيث جحد عزل
صاحب كتابه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أصل الوسائل
كلها فقد ادّعى أنه يحجر الله تعالى عنه علواً كبيراً حيث لا يعزل
من أراد ويولي من أراد وقد أراد أنه عزل كل نبي بموته وقرر
شريعته بنبي بعده إلى سيد الكل فإنه جل وعلا عمم رسالته
في سائر أجناس مملكته تكليفاً للثقلين وتشريعاً لغيرهما ما
دامت أيام الدنيا والآخرة وإن انقطع التكليف بالموت فلا يظهر
بعد الموت إلا بحور أنوار الشريعة ونتائجها وعليه فكل من
أسلم وحسن إسلامه لا ينبغي أن ينسب للكفر لأنه لم يكفر
ومن تبين له وجه الحق وجحد وإن أسلم ينافق يعد كافراً

جاحداً متمرداً فالصحابه لم يكن فيهم كافر من سيدنا إبراهيم إليهم فافهم وسلم تسلم وإذا كانت أجداد الصحابة من العرب كذلك وأحرى نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أفضل الأنساب وأفضل القبائل والشعوب والأحياء فنسبه القطبانية الخلافة وحواشي نسبه الشريف الأمراء والأبدال³⁸ وأرحامه من الأمهات والجذات والمرضعات والأخوات من الرضاعة صديقات من كبار أهل التصريف وهي مرتبة دون القطبانية وفوق الولاية فحفظ الله لله الحمد نسب إسماعيل من رجس الكفر ببركة سراية القطبانية فيه فمن كان من أهل الكتاب قبل ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن اتبع نبيه فهو مسلم وإن جحد نبوته بعد وضوع³⁹ الحجة فهو كافر

³⁸ قال ﷺ: ((لا يزال أربعون رجلاً من أمّتي قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل الأرض، يقال لهم: الأبدال، ثم قال رسول الله ﷺ: إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة، قال: يا رسول الله! فبم أدركوها؟ قال: بالسّخاء والتّصيّة للمسلمين)).

الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: أبو نعيم | المصدر: حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم: 190/4.

³⁹ لعل أصل الكلمة "وضوح الحجة".

وبعد عيسى عليه السلام انقطعت رسوم التكليف عندهم بالرفع بين أظهرهم وكفر من تعمد قتله من الطائفة اليهودية ونجا الباقي فعم أهل الفترة العيسوية سهم الرحمة إلى بروز صاحب الشرائع كلها فمن تبعه منهم فهو مومن ومن جحد فهو كافر فلا يعذر واحد منهم بالجهل لأنها تبينت لهم في كتبهم القديمة وإنما حرفها سفهاؤهم بسبب الطمع وذلك شأن الطمع وأهله وأهل الرياسة فلما أئبعت بساتين الصحابة الأجلة جاهدوا في الله حق جهاده فعاش من بعدهم في بركتهم إلى يوم القيامة وإنما أطلنا النفس وإن كان مستطرذاً تنبيهاً على دائرة الفضل الكنزية المكتومة وهي أن الله جل وعلا فعل ما فعل بلا سبب ولا عمل ولا قصد بعمل ولا مجاهدة بل شئون الحق برزت من بحر فضله على أيدي أسمائه جل وعلا فيجب عليك أن تعول على فضله لا على عملك لأنه هو الفاعل له لا أنت وإلا أتعبت نفسك بلا طائل فإذا عرفته علمت أن مقصودنا أن تسلك الطريقة الأولى التي كان عليها صاحب الشرع وأصحابه فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد الناس في غفلة وإشراك وقتل بنات وأولاد

وزنى واستحلال الدماء وغيرها فنبههم بالسياسة الربانية فساسهم وراضهم حتى ارتاضوا بأنواره وحكمته وبقوة عقله المكتسب من الشريعة حتى أحبوه وتركوا ما كانوا عليه وتجنبوا في محبته ما نهاهم عنه وفضلوه على نفوسهم وأولادهم وأموالهم فامتلات قلوبهم بمحبته التي هي عين محبة الله فلم يكن لهم تعرض لغير امتثال أوامره واجتناب مناهيه ولم يكن تقدم لهم ذكر جنة ولا نار ولا ولاية ولا كشف ولا سر ولا مراقبة ولا مشاهدة ولا معاينة ولا حالة من أحوال السالكين بل فجأهم الحق على يد النبي صلى الله عليه وسلم وصدقوا برسالته ممتثلين له مذعنين فأنين عن أنفسهم تاركين ما كانوا عليه ببركته فتعلموا الشريعة من أكل وشرب وجماع وحركة وسكون فلا يعد أحد منهم نفسه عالماً كيفية استبراء البول حتى يتعلمها منه ولا ما دونها وفوقها من المعاملات العباديات والعاديات والعقود فسلموا أنفسهم له وتركوا عقولهم معه ولذلك يسألهم عن أي شيء من الأيام والشهور فيقولون الله ورسوله أعلم ولم يكن فيهم من يدعي معرفة شيء قليل فاشتغلوا برضى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وتجنبوا مساخطه فهذا دأبهم ولم يقصدوا سلوكاً ولا وصولاً وتجردوا من رذيلة الحظوظ النفسية وصمموا على كتاب الله مفسراً بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم لا بإشارتهم فلما تحقق الله يقينهم أزال الله الحجاب لكثير من الصحابة حتى اتضح له ما قرره صاحب الوحي فلم يزد ما شاهده معاينة على ما عنده من صريح كتاب الله وعرف كل واحد منهم أنه بركة متابعة حدود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزدهم ذلك إلا متابعة واتصلاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فثبت أمرهم ورسخت أقدامهم وتفجرت بحور صفائهم من غير تعريب على شيء غير المتابعة فلم يكن فيهم مجذوب ساقط التكليف لأنهم كاملون مكملون مهتدون هادون واستقرت بحور الشريعة فأمدت قلوبهم حتى إن أحداً لو بقي يملئ أسرار الشريعة عمر الدنيا والآخرة ما نفذ عشر ما فهمه من إشارات وتصريحات وتقريرات وعوائد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وتقوت أشباحهم وأرواحهم حتى إن أحداً منهم ليقاتل أهل جيلنا مثلاً وحده وبعده لا ينسب شيئاً لنفسه فلا يقول

فهمت ولا علمت ولا تلقيت من حضرة غير النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً بل ذلك كله عين الشريعة وإن فهموا ببواطنهم شيئاً يردونه لها فبقيت الشريعة محررة وبقي قصدهم محرراً مجرداً من الأغيار مضرين عما ظهر لهم من حقائق الشريعة فينسبون الحقائق للنبي صلى الله عليه وسلم وإن وقع لهم الفتح الأكبر وصرّفهم الله في ملكه فلا يعدون أقطاباً وأفراداً أو نجباءً وأولياءً وأوتاداً فلا يراعونه ولا يخرجهم ذلك عن ثباتهم ولا ينطقون إلا بالرواية عن الشارع فبذلك سمو الصحابة دون غيرهم فإن صاحب يشترط اتباع المصحوب فيه والتابعون من القرن الثاني إنما صحبوا الصحابة لمشاهدة أفعالهم ومشافهة أقوالهم ولا حظّ لهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يشاهدوه ولم يتبعوه حق الاتّباع وهكذا للقرن الرابع فتابع التابعين لبس حلة التابعين والتابعي لبس حلة الصحابة والصاحب لبس حلة صاحب الشرع فشتان ما بين المقامات وإن كان المورد واحداً لكن لما عبد القرون الثلاثة الله على وجه التجرد من كل حظ زائد عن التعلق بالربوبية بملازمة حد

العبودية سمو قرون الفضل فلا يوازنهم غيرهم ممن بعدهم إلا إن سلك مسلك إخلاصهم بتوحيدهم السنة العبودية لحضرة الربوبية امتثالاً ومحبة واستحقاقاً وغلبة فهذه هي الطريقة الفضلى الأولى الواضحة الفضلية الخفية السمحة الإبراهيمية الأحمدية المحمدية المستقيمة التي سلكها مَنْ ﴿أُنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾⁴⁰ ثم إن ما ذكره لسان الشرائع من الفضائل والثواب والعقاب والخواص مما ينشط المقرب ما ذكره إلا لإيضاح ما أفاضه الحق بفضله على قلب نبيه إظهاراً لمرتبته ولخزائن أسرار ملك الله ولتفريج عيون الجادين بالله لا بالنعمة فعظمت نعمة الله عليهم ولم تنزلهم النعم عن أفراد الوجهة لمولاهم لتمكنهم في رسوخ الشريعة ومعرفتهم مقاصد الشارع فاعتبروا بالظواهر البواطن عالمين سر السجود الذي هو التذلل والإفراغ والوقوف بجميع أجزائه بين يدي مولاه عالمين منه أن لا فضل للفوق على

⁴⁰ (69) سورة النساء.

السفل ولا العكس وإنما الفضل ما فضله الحق فسرى سر
العبودية في بواطنهم ولم يضرهم ما سمعوا من جنة أو نار ولا
قصور فاستلذوا خطاب سيدهم واجتهدوا في أمر العبودية
فصار فتحهم هجومياً بلا قصد فلما تملأت القلوب على
الفتوحات الدنيوية بالجهاد الإسلامي صار الناس يجاهدون
للأموال ولإظهار مرتبتهم لتكون لهم الكلمة السلطانية أدبرت
القلوب عن الله وأقبلت إلى شهواتها فنزلت مصيبة على العلماء
العارفين فاجتمعوا لاستنباط طريقة تمني الناس بالمراتب
الكونية الأخروية السرية الباطنية فاستنبطوها على وفق ما
أملوه مبنية على الحظوظ قصداً منهم لترقيق القلوب فبنوها على
أهل الأحوال من الصحابة فمن أراد أن يشرب بعض أحوال
سيدنا علي كرم الله وجهه فليفعل كذا فإن علياً يفعله وليذكر
كذا فإنه يذكره وقس عليه بقية أهل الفتح من الصحابة فلما
ظهرت الطريقة على تلك النمط على أيدي كبار العلماء نهض
أهل الجد والمحبة في الولاية الباطنية وتجاذبتها أيدي العارفين
فشرطت لهم الأئمة شروطاً من حزم وسهر وقلة الأكل وزهد

في الولاية الظاهرة وصمت مستدلين لهم بنصوص الشريعة التي تقدم لنا أنها تخاطب كل أحد فصيروا لهم الفضائل عين عروسهم واجتهدوا وتصدرت أئمة الحق لتربية الخلائق على وجه السياسة الشرعية الإيمانية ومقصود الأئمة شغل نفوسهم بالفضائل والخواص حتى يرق حجابهم بالجوع والسهر والعزلة والمجاهدة فقسموا النفس إلى سبع مواقف فنقلوا العابدين من مرتبة إلى مرتبة بالرياضة فإذا نقله من مقام استقدر له ما دونه ويعده نجسا حتى يقطع ستة نفوس فإذا قطعها تبين له لوائح القرب من وراء الحجب الرقاق فيسأل شيخه عنها فإذا تحققها بين له شيخه أنه إنما تعبت نفسه فيما مضى من العبادة فالآن يستأنف العمل فيأمره بالانسلاخ من الإرادة والركون إلى غير مولاه ويطبق له عليه صريح نصوص الشريعة فيتجرد ويبقى مع ربه عبداً فانياً مع قطع النظر عن الغير خائفاً من سلوكه فيعبده معصية وينزل الكلفة التي تحملها من الغيرية ويسلم أمر الخلق كلهم لمولاهم ويشاهد عين الوحدة فإذا تحقق بمقام الفناء عن الغير يقول له طبيبه الآن قد أيقنت بسعادتك حيث لم تمت

في سلوكك قبل الوصول فلو مت مت على غير أدب وعلى غير توحيد الوجهة فيوصيه أن يراعي حق الإخاء فيشتغل شيخه بغيره ويأمره بعد الثبات بنفع الخلائق بمثل سلوكه وسياسته من غير تبيين المقاصد في وسط المقامات حتى يوصله لكن شيخه يأمره أن يلازمه ليلا يموت على الحظوظ فإذا رآه قرب أجله يجرده بالهمة ويموت مجرداً منها هكذا شأنهم رضي الله عنهم فوصلت بها أقوام وضلت بها أقوام من المسيئين مع أساتذهم وكثرت الشيوخ وتفجرت بحور السلوك وفرح الدين بالقاديين من تيهاء الحظوظ بعد أفول شمس الكاملين فانتظمت سحائب أودية القلوب وأينعت النفوس وصارت أرواحا بعد تحكمها على الأرواح واتضححت الطريقة الثانية بالأطباء الأجلاء فقاموا على ساق الجد في إيصال الواردين وقطعوا معهم مهامه عقبات العطب فجعلوا لهمتهم السيارة النافذة سر قوامهم وجعلوا ما في الدنيا من النعيم زاداً للمسافر وقطعوا النظر عن زخارف الدنيا ونزلوها منزلة الزاد للمسافر فالمقصود به سد الرmq لا غير للتقوي على ما هم عليه من

السير فجدوا سيرهم مسنحين أنفسهم وأتباعهم سيوف العزم والأذكار فنصبوا عدوهم إبليس قدامهم ينظرونه بعين رؤوسهم فشغلوه وقطعوه بسيوف المجاهدة والمذاكرة أسرار الشريعة ولم ينصبوا أنفسهم في مقابلة عداوته لأنه إن فعلوا صار هو الشاغل لهم بل نزلوه منزلة الكلب العقور ينبح ويلهث ولم يلتفتوا لنباحه عالمين أنه يضيع من لا عقل له من المتهاجرين معه بل تركوه وراءهم واجتهدوا بسيرهم حتى قطعوا ما يمكن أن يصله إبليس وجنوده وقال هيهات هيهات فلتم مني وهذا جهدي فيما كلفت به من الإغواء فلو كانت لي طاقة أو قوة لقطعتكم ولكن لم يجعل لي الله إلا حياً أغوي بها من كان على شفا الحظوظ ووجدت فيه زبالة نجاسة الغير والغيرية فالمريدون في حال سلوكهم وإن كانوا متلطخين بأنواع النجاسات الحظوظية لكنهم في كنف المجرى من الحظوظ يحمي بنوره أناساً كثيرة فلما أخذت السالكون راحة من اللعين وفرحوا ناداهم شيخهم فإن العدو الحقيقي هو ما بقي قدامكم وأما اللعين إنما هو يكيد كيداً ضعيفاً بالوساويس الواهية فاعلموا

أنكم دخلتم بلد الهلاك والعطب والقطع وكثرت الآن المحاربون على دينكم وهم المراتب الكونية من فتح وولاية وكشوف وأسرار ورقائق وانقياد الروحانيين لكم فجدوا الآن وأخرجوا جميع ما عندكم من القوة وآلات المحاربة معها وزيدوا في مكينة همتمكم زيتاً وفحماً وقدموا كل مدفع وصواعق للقتال فجعلهم أمام رحالهم في حيطته وسل سيف الغضب على من ركن للمراتب فجاءت جيوش الأسرار لكل واحد من المريدين في كل جهة ظاهراً وباطناً فخاطبهم كبيرهم بالتجرد مما سوى الله مانعاً لهم من كل سر حاملاً عنهم أذاها بهمة العرفان فساسهم وراضهم بسياسة ورياضة وصبر لجفاهم بالركون لغير مولاهم فمن واصل ومن هارب ومن مسجون عند كبيرهم فنصب المواعظ والأدوية وتنزل للقتال عنهم فمنهم من قال ﴿قَادُ هَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾⁴¹ . ومنهم من امثّل وتجرد فوصل لحضرة السيادة ومنهم من بقي مع الكشوفات

⁴¹ (24) سورة المائدة.

وخرق العوائد والتصريف بأنواع الأذكار فلا يزال الكبير ينافح عنهم حتى وجدهم بنوا معاقل الراحة وترفها بملك الروحانيين والانفعالات ولم يجد لهم سبيلاً لتمكنهم تركهم على ما هم عليه وأدخل معه طائفة قليلة وهذا دأبه مع كل الأمة قانعاً بالعارف الواحد إذا وصله لأنه منزل منزلة كل الأمة فمن بقي مع مراتبه يدعي أنه من الكاملين فيعيش مع المكونات عيشاً رغداً ولم يشم رائحة المعرفة والرضوان يتصدر للمشيخة لما رآه على يده من الانفعالات والكشوفات فيضل السالكين ولذا كثرت المدعون للمشيخة وقلت العارفون لأنهم أحرار والحر قليل فاختلطت طرق البطالة بطريقة الصفاء ومن الناس من يستعمل الأذكار العظام التي يشترط فيها الإذن بلا إذن أو يأذن مع مخالفة الطبيب بما ظهر له من المجاهدة والمكابدة ففاضت عليه بحور الأسماء فسلب عقله فصار بهلولا لا عقل ولا تكليف وهذا مقصود للشيطان ولم تكن المجاذيب في الطريق الأولى أصلاً بل هم مجردون من الإرادة وعبدوا الله حتى أتاهم اليقين فيستوي عندهم الفتح والحجاب مستسلمون لمولاهم

فكثر الضالون المدعون الجذب الإلهي فكل من خرج عقله
لدنيا أو موت قريب يدعى مجذوبا ولا زالت العارفون يحمون
الطريقة الثانية بهمهم وأقوالهم حتى وصل من أراد الله أن يصل
عليها وجردوا سيوف التذكير والتحريض على السلوك بها ليلا
تنقطع العابدون على الوجه الأكمل فتقوم قيامة العامة وتنصب
عليهم رزايا الجهل والاعتزاز وامتدت غصون الطريقة الثانية إلى
حدود الخمسين عاماً من القرن العاشر تملأت الناس على
الخواص والجداول والاستخدامات التي رمتها السنة الشريعة
وكثر العطب وتركوا من يرشدهم للطريقة وترأس كل واحد
ومنهم من دخل الخلوة بلا شيخ أو بلا أدب لمخالفة شروط
شيخه للأموال لبني زاوية يجعلها شبكة الدنيا يتمتع بها فحصل
له مراده بكثرة الظلام فاجتمع عليه السفهاء وجمع أموالا تركها
من ورائه فراج إبليس في أولاده فزين لهم القتال بينهم عليها لأنها
مصيدة النجاسة وأزال صاحب الزاوية بعد أبيه جلاب الحياء
وهتك الشريعة ويجبر الناس على خدمته وإلا أهلكهم بدعوته
فيأتي إبليس فيسوق له كل غثاء ليلا تنقطع طريقة الضلال

فكثر الخبث وتركت الصلوات في أوقاتها وضيعت أركانها حتى إن من يصلحها ينقرها لأنه يصلحها عادة آباءه لا غير ولا يجد حرمتها في قلبه لأنه متبع عادة آباءه لا غير وظهرت المرابطون المدعون طريق الخرقه فتنافسوا تنافس الجعل .⁴² على النجاسة وانسدت المسالك وانغلقت الأبواب وبقيت العارفون يكون على الدين في كل عصر ولم يجدوا معيناً على نصره الدين وقطع البدع والشبه وحسم مادة الضلال التي هي عين الحظوظ فتبرأت الكاملون من الدجاجة فمالت الناس لهم وتركوا العارفين وصارت زاوية العارفين كالباطل وزاوية الباطلين صحيحة مستقيمة فقال أبو مدين الغوث انقطعت الطريقة انقطاعاً كلياً ولم يبق إلا الرجوع إلى الله بهمة العارفين وحال من يدعي الطريقة الصريحة ما هو إلا مدع لا غير ولا حظ له فيها ونهوا عن اتباعهم وأمروا بطريقة العامة إن لم تكن الأولى ثم أخبروا بأن الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم تقوم مقام

⁴² الجعل: حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع التديّة.

السلوك فأكثر البعض فوصل بها فتمالأت الناس عليها وكثر ستر الله على الأمة ببركتها إلى قيام الساعة فله الحمد على دوام فضله وهذه فترة العارفين انقطعت طريقتهم إلى حدود السبعين من القرن الثاني عشر جدد الله من رد الطريقة الثانية إلى الأولى وحكم بأن من سلكها بعد لا يحصل إلا على التعب وطرزها بالنصوص القرآنية فتجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرج كأنه لم يمت وأفاض على صاحب الطريقة الأولى جميع علومه الظاهرة والباطنة وباطنة الباطن وهو العلم الثالث الذي اختص به وأفاضه على حامل الطريقة الأولى التي هي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيه ويبين له القربات بنفسه فعلم له كيفية الصلاة والتيمم والوضوء والغسل والسجود والركوع مشافهة يقظة لقوة سرايته فيه حتى قرر له صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع وجميع الطرائق والأحوال ونزله من صفاء التربية منزلته في كل قول وفعل وأمر ونهي فمن أخذ عنه فقد أخذ عن يد صاحب الوحي ومن امتثل أمره فقد امتثل أمره صلى الله عليه

وسلم ومن خالفه فقد خالفه وضمن له صلى الله عليه وسلم كل من تبعه إلى قيام الساعة وأولادهم وأزواجهم وأنسابهم ووالديهم وسراريهم بلا حساب ولا عقاب فضمن له صلى الله عليه وسلم أن لا تنقطع طريقته إلى قيام الساعة وأن يبقى فيها سره صلى الله عليه وسلم وأن لا تكون التربية بغيرها إلى قيام الساعة فضمنه كله وضمن له أن يكون له واقفاً على رأسه دائماً وعلى رأس أتباعه بحيث لا تخطر بدعة في طريقه إلى قيام الساعة وضمن له أن ينوب عنه صلى الله عليه عند المهالك والأمر العظام وأنه هو المربي صاحب الطريقة وأنه مقدم له في إيصال مدده صلى الله عليه وسلم فتصدر لها مبيناً وجهها مجرداً كل من قصده من نجاسة الحظوظ وأفردت الوجهة لله الحمد في زمانه لمولاهم وظهرت أنواره صلى الله عليه وسلم كزمان الصحابة لأنهم نهجوا طريقتهم واتضح المقاصد وعبد الله على الوجه الأكمل فتميز الخبيث من الطيب فبرزت نصائح النبي صلى الله عليه وسلم ووصلت العرائس بلا قصد بل بفضل إلهي فتعطرت الأصقاع بترك كل مقصد مع الله عالمين بأنه هو

الفاعل في الحضرات كلها عرفوا الله وعرفوا وسائطه الفضلية
وعرفوا بأن الله هو الظاهر هو الباطن في حضرة الوسائط
فعظموا وساطته صلى الله عليه وسلم على ما ينبغي من كونهم
يحبونه لمحبة الله له ويمثلون أمره لأنه خليفته ويصلون عليه
تعظيماً لله وخليفته فجعلوا أمره أمر الله وجعلوا شيخهم خليفة
عن الخليفة الأعظم صلى الله عليه وسلم فابتدروا الأمر وجعلوا
أمره أمر الله لأنه خليفة خليفته كل ذلك سياسة لملكه جل
وعلا من غير افتقار إلى واسطة بل ذلك حكمه في الأزل
وعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم لله وعرفوا شيخهم لله لا
لحظ زائد لأنهم تبرعوا من الحظوظ أولاً فلا حظ يبقى لهم مع
ربهم ولا نبيهم ولا شيخهم فصحت الوجهة للحضرات كلها ونزلوا
كل حضرة حضرة ربهم فإذا كانوا في حضرة نبيهم جزموا بنبياة
عن الله لا غير وتجردوا من كل ما شغلهم عن ربهم وكذلك
حضرة الشيخ فصفي المشرب وهنؤ المساغ وفاض كوثر
الإخلاص على الوجه الأكمل فذابت النفوس بنور الإخلاص
إخلاص العارفين الذين قطعوا النظر عن غير مولاهم فتتابعت

الفيوضات الإلهية النبوية الأحمدية واستمرت وتكاثرت الواردات وامتدت ولم تجد الولاية والكشوفات محلاً يقبل غير ربهم فصارت الولاية تاجاً على رؤوسهم ولم يبألوا بها إلا على وجه امتثال أمر ربهم فهم غرقى في مرضاة ربهم فنزعت الحظوظ من بين أظهرهم وصارت الطريقة طريقة المنعم عليهم في الفاتحة طريقة الفضلية وهي التي أرشد الحق في أول كتابه إليها ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁴³ . ولم يرشد لطريقة العمل لأن العمل أمر مكلف به جبراً والفضل له جل وعلا فلما رفعت لله الحمد كلها للأولى وبقي العمل فيها على عمل الصحابة فما فعلوه هو الطريقة وما تركوه بدعة وإن كان مستحسنًا في الثانية لأن الثانية لا يحتج بها على الأولى بل الأولى حاكمة مستقيمة لأنها طريقة الصحابة والتابعين مجردة من العمل والخواص والتعرضات بالأعمال بل النية فيها لله ولرسوله والثانية في أول وهلة الدنيا وما يعقبها من الزخارف والجنة ((إنما الأعمال

⁴³ (7) سورة الفاتحة.

بالنيات فمن كانت هجرته لله ولرسوله فهجرته إلى الله ولرسوله
ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى
ما هاجر إليه).⁴⁴ فهذا الكلام الشريف منبع الطريقتين الكلام
الأول للأولى والثاني للثانية لكن الثانية في الأولى بالله لا بتعلمهم
فصار الدين قوياً بعد أن كثرت المدعون وانقطعت الدجاجة
بالأولى لأنهم لا يدعون دعوى بل هم عائمون في بحر العبودية
المحضة جرد منها من يكلؤها إلى يوم القيامة لقوة أنفاس
صاحب النبوة فيها حتى أن صاحبها الذي كلفه صاحب النبوة
يصرف همم الناس لها ما مات في حدود الثلاثين من القرن
الثالث عشر حتى ترك من أصحابه عدد أصحاب صاحب
الوحي مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً كلهم شاهدوا طلعة وجه
من خليفة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم لأن هممهم في
التوله به كالصحابة لا غير حتى إن أحدهم لو أفيضت عليه
القطبانية العظمى لا يعرج عليها بل ينسبها للنبي صلى الله عليه

⁴⁴ الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الرقم: 1.

وسلم وهو خادم لحضرته فصاحب الشرع هو القطب والقطب الزماني نائب عنه وهو فان فيه فلا يقول برأيه إلا ما قاله له صاحب الوحي ولا يتصرف حتى يأذن له لأنه فان في رؤيته فمنهم من لا تفارقه طلعتة كأنه لم يمت صلى الله عليه وسلم ورتب صلى الله عليه وسلم منهم تلامذ وأصحاباً وفقراء وعين لكل واحد أخاه من الصحابة ديناً ومقاماً فمنهم من نزله منزلة أبي بكر ومنهم من نزله منزلة عمر ومنهم منزلة علي ومنهم منزلة عثمان إلى آخر طبقات الصحابة فمنهم من بشرهم بالجنة كالعشرة ومنهم من بشرهم كأهل بدر لا يضرهم ما فعلوا ومنهم من قال أنت منا كسلمان لمحبته ومنهم من قال له ((أنفق بلا لا ولا تخش من ذي العرش إقلالا)).⁴⁵ كبلال ومنهم من تقضى الحوائج بذكره كعمران بن حصين⁴⁶ ومنهم من صلى عليه النبي

⁴⁵ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم:

⁴⁶ عمران بن حصين بن عبيد بن خلف صاحب رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في سنة سبع وله عدة أحاديث وولي قضاء البصرة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد

صلى الله عليه وسلم كأصحمة .⁴⁷ ومنهم من سل سيفه كعلي ومنهم من قال فيه هو مدينة العلم إلى آخر مزايا الصحابة الكرام فرجع الدين لله الحمد كبده ((بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً)).⁴⁸ وقد رجع ولله الحمد وغرته استغراب العقول أن تظهر الفيوضات في هذا الزمان كفيوضات الصحابة الأجلة وغرته في الصدر الأول ظهوره في ظلمة الجهل فكانت غرابة هذا الدين ونفاسته أمراً عجبياً يستعظم أمره كل من لم يطلع على سر الله فيه وأما من أطلعه الله على لمعان جوهرة صاحب الدين وذاق سره فلا يتعجب في أمر الدين في كل زمان فإذا علمت أن صاحب الشرع هو الذي اجتهد في نصرة الدين في كل زمان وإنما كثرت المدعون للمحبة والمجاهدة في الطريقة

بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم. توفي عمران رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين رضي الله عنه مسنده مئة وثمانون حديثاً. سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.

⁴⁷ أن النبي ﷺ صلى على أضحمة النجاشي، فذكر عليه أربعاً.

الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3879.

⁴⁸ الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 145.

الثانية وادعوا الترقية بأنفسهم وهممهم حتى أعياهم ما هم عليه تركهم حتى قنعوا من الإرادة ولم يحصل لهم ما أملوه للكسل والفشل بالتنازع والدعاوى ثم قام بعده صلى الله عليه وسلم وبسم طريقته المستقيمة التي أرشد لها الحق في الفاتحة وبين مراسمها وشروطها وحدودها ونزل عليها للحفاظ علي بن أبي طالب سالماً سيفه على من غير وكدر وجهها فيقسم من حيث لا يدري فتنصب المصائب في ماله وبدنه ودينه حتى يرجع إلى أمر الله ويتوب من التغيير والتبديل فتغيرها بتخليطها بالثانية المستنبطة للحظوظ المراتب في أولها فكل من رأته من أهل الأولى تغيرت حالته حتى في ملبسه فاقطع بأنه ربي بالدرة العلوية أو بالسيف العلوي كما كانت الصحابة يربون بأقوالهم وأفعالهم بالقصاص والحدود والنبى صلى الله عليه وسلم كذلك فيمن أساء في هذه الطريقة النبوية وهو حارس ذمامها وحدودها ما دامت الأرض باقية للبقاء غير معرضة للقاء أهل هذه الطريقة ينفرون ممن يروم الدعوى ويقابلونه بعين الازدراء لأنه خرج عن العبودية وصارت جنة فرحهم من يذكر لهم العبودية

ويرشد لها فكلهم شيخ مرบอน بالفطرة النبوية حتى أن من دخلها ساعة مكانية تجده لبس حلة التبري من الدعوى مطبوعاً عليها بسيف القهر فلا يقبل كلام من لا يحبها وينفر منه في أول أمره ولذلك لا يسلمون كل ما خرج عن العبودية أيّاً كان فصمموا عليه لله الحمد بحيث لا يقبلون سحر ساحر ولا كهانة كاهن ولا حماقة لاعب وجاهل ولا فصاحة خالب ولا نجامة ناجم ولا حساب حاسب فتجدهم ينفرون بطباعهم السالمة وينفرون ممن شأنه ذلك وعليه فلا يكاد أحدهم يصدق الدجال إذا ظهر لما صمموا عليه من العبودية الصرفة المفتقرة للسيادة المالكية في حضرة الربوبية لأن صاحب الوحي ضمن لصاحب هذه الطريقة أن لا يتبعه أحد من المتمسكين بطريقته لما جبلوا عليه بالفطرة السليمة بإفراد الوجهة لنقطة الوحدة حضرة الألوهية ولا يمر الدجال في بلد أهل هذه الطريقة فيه لأنهم يسفهونه وينسبونه للتشيطان وهو يقول بالربوبية فتمالأت عليه أهل الطريقة بالتمرد فيخسأ في كل بلد فيه أهلها لله الحمد وكفى أهلها شرفاً حيث سلموا الملك كله لله وكل من خرج

عن حد العبودية يتلاشى أمره عندهم فإنهم أنصار الدين كما كانت الصحابة أنصار الدين فتجدهم يأمرن بالمعروف والدين لإخلاص الوجهة لحضرة الله جل وعلا وينهون عن المنكر في زمن الصحابة الكرام وهو الإرادة وطلب الثواب عن الأعمال والتعرض به لانتعالات الأكون فهذا هو المنكر الغير المعروف في عهد القرون الثلاثة فاستقامت الطريقة لله الحمد وزال نقاب محياها وقد تنقبت في زمن الصحابة وعرفت من وراء الحجاب لكثرة أنوار خطاب الشارع فلما انحجبت بالكلية إلا عن الأفراد بعد القرون الثلاثة عميت عنها البصائر فوقع ما كان حتى أزال صاحب الشرع بوساطة خليفته المهية للخلافة عنه في علم الغيب فأزال كل حجاب عنها فتبين حسننها لكل عاقل وضمن من الحضرة المصطفوية أن تدخل الأمة كلها أو جلها فيها كما دخلت في الإسلام أفواجا لوضوح أمرها ونور أهلها بين سائر الأجناس وشيد مناطها لأن أهلها إنما يسرون بأرواحهم ويجهدون بصفاء بواطنهم من الغير والغيرية مع بقائهم على رسوم أحوال العامة من ملازمة ما يجب ويسن ويندب بلا

إفراط ولا تفريط وهي الطريقة الوسطية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾⁴⁹ . ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾⁵⁰ .
(خير الأمة أولها وآخرها)).⁵¹ ولا تكون الخيرية إلا بصفاء القلوب فكل ذي حرفة في حرفته وكل ذي سوق في سوقه وهو جوهرة المعارف وينبوع الفضائل والمكارم ولا يتنزلون عن أحوال العامة بظواهرهم وبواطنهم على إيمان إسرافيل عليه السلام فأيمان إسرافيل وجبريل وبقية الملائكة أن الله طبعهم على معرفته وجرد ذواتهم السليمة من كل شهوة خارجة عن حضرة الحق فوجهوا كلية أجزائهم وأركانهم لحضرة القدس على سبيل القهر الإلهي فجردهم مولاهم من حظية الجنة والنار والحظوظ وصلاح إيمانهم وتمت نتائجه وعمت فوائده فلذلك كانوا رسلا إلى صفوة الخلق الأنبياء الذين من طبعهم ما خلقوا

⁴⁹ (110) سورة آل عمران.

⁵⁰ (39 و40) سورة الواقعة.

⁵¹ الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة

أو الرقم: 4078.

منه من الترابية الدنيوية والأخروية بحسب الأصل لكن منعهم مولاهم كل المنع من الميل إلى الترابية الأصلية فوجههم كل التوجه لغاية العبودية حتى فاقوا بالله إسرافيل وجبريل لجمعهم بين البشرية والملكية فأهل هذه الطريقة كلهم على إيمان إسرافيل المجرد عن كل ما يكدره من الحظوظ النفسية وإن رأيتهم على أخلاق العوام ظاهراً فهم لابسوا حلة شيخهم باطناً ((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)).⁵² فقلوبهم ممتلئة بحلة شيخهم بحيث لو زلزلت زلازل القيامة وأهوالها وشروطها لا تجدهم إلا على مذهب شيخهم ولا يصدقون إلا على نهج العبودية وتجدهم يحبون ما أحبه الله من الظواهر في الأزمان فلا يتعرضون لحكم مولاهم بقلوبهم وإن كانوا ينطقون بلسانهم بالوقائع الزمنية فمرادهم بالنطق أن يرتبوا عليه الاعتراف بالحضرة وحدة الألوهية فتجدهم يتكلمون ويتبعون الأمر كله لله من غير تعرض لحمله

⁵² الراوي: أبو هريرة | المحدث: البيهقي | المصدر: الأسماء والصفات | الصفحة أو الرقم:

بهممهم كأهل الإرادة في الثانية لأنه ينافي العبودية إلا إن تجلى الحق فيهم فيفعلون بالله لا بأنفسهم متبرئين منه جازمين بأن الله هو الظاهر هو الباطن في الحضرات كلها ولا يسمون أنفسهم بالبركة وإن كانوا نتيجة البركة فهم عينها في الحقيقة ولا يكتبون الطلاسم بنية التصريف ولا يظهرون بركة هممهم في المرضى بل يكون أمرهم إلى الله الممرض ويتولون الدعاء له بالبواطن وربما يصرفون المريض لغيرهم مع أنهم دواؤه ليبراً عن غير دعواهم فينسبون لبعض الخاصة منهم أو من غيرهم ولذلك لم تظهر إلا ثمرات الكونية فتجد الناس غير معتنين لزيارتهم لأنهم لا ينسبون الأحوال لهم بل لا حال ظاهراً لهم لأنهم ملكوا أحوالهم بمتابعة شيخهم حتى إن من ظهرت الأحوال عليه يقابله العارفون من الطريقة بالزجر لينزجر فيقولون له نحن نملك أحوالنا حتى البكاء نملكه بحيث لا تقطر قطرة من عين أحدهم في المجلس ليلاً يشار إليه بالأصابع ((خص بالبلاء من عرفه

الناس))⁵³ فمن أراد البكاء فليبك في خلوته مع مولاه لا في جلوته ولذلك تجد من غلب عليه الشوق لحضرة صاحب الشرع في وحدته فإذا دخل عليه غيره من أهل الطريقة أو غيرها يمسح عينه أو يتعمل بأنه يبكي لفقد كذا من الأحباب كالرزايا تستراً لحاله أو يتوجع وجعاً وهو سالم منه ويبالغون في ستر الفقر والسبحة وحال الطلب وحال الذكر وربما يقطع مجلس حضوره بداخل ليلاً يتبين أمره ستراً لمراتبهم العلية وأما أهل الطريقة الثانية في حال سلوكهم يظهرون أحوالهم وبكاهم في المجالس إما غلبة إن كانوا صادقين وإما يعتقد فيهم إن كانوا مرأين فأبغت الناس على تعظيمهم لما رأوا من ظواهر أحوالهم لأن العامة إنما يعتبرون الظواهر ولا ذوق لهم في البواطن فكل من ظهر أمره عند العامة ولم يكن مرشداً إما لكونه مملوك حاله وهو ضعيف الأولياء وإما لنجاسة مخبره لأن العامة لا يجتمعون إلا على من يناسبهم في الحظوظ بأن يقول لهم ببركتنا تلد

⁵³أورده أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في كتابه فيض التقدير ونسب لفظه للدليمي.

أولاداً ويزيد مالك وتدرك الولاية وتكون في مالك بركتنا أو
بركة أسلافنا فإن خدمتنا نحبك ونكفيك المخاوف ونخلصك
من المضايق ونحوه فتجد العامة يعظمونهم ويبنون عليهم الأبنية
بعد موتهم ومقصودهم الغرض الفاني بل حملتهم المحبة الحظية
المنقطعة بانقطاع الحظ فتكثر عليهم الوفود جيلاً بعد جيل فلو
نبههم عارف عند ذلك بتصحيح الوجهة لله جل وعلا بأن الولي
لا دخل له في ملك مولانا بل إنما تبع الكنائش الإلهية فما
نقشه الله تبعه من والاه الله لا كل أحد من الصالحين لأطبقت
الأجيال على جهله لأنه ما قرر لهم ذلك فالعهدة عليه فالولي إذا
أحب أن يكون له صيت وأن يعظم جانبه يظهار أثر التصريف
الإلهي للبعض يسلب من ولايته فإنه كأنه أحب أن يعبد دون
الله وهو فرعون زمانه فافهم ولذلك قالوا **(الشيخ من ينهضك
حاله ويدلك على الله مقاله)** فمن ذلك على الله فهو أخوك ومن
ذلك على غيره فهو شيطانك ومن ساعدك على الحظوظ بأن
يقول لك أعطيك كذا وأنا منقذك من المهالك بمهجتي ونحوه
فقد قطعك عن حضرة مولاك على أنك وجميع الأولياء في

قبضة الحق فالذي يجب في هذا أن يرد من اتهم بالولاية والتصريف وبولاية أسلافه قلوب أمة المختار الناصح صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الحق جل وعلا وأنه المحرك والمسكن وأنه عبد الله لا غير لا دخل له في ملكه وأنه عبد ضعيف اعتقد فيه الناس الخير بحسب ما يظهر لهم وأن بركتي هو أن أعينكم على صرف الوجهة والهمة لحضرة السيد وإن أكبوا عليه يقول لهم فاذكروا الله يذكركم⁵⁴ واتقوا معاصيه وامثلوا أوامره فإنهم لا يقنعون منه بذلك فإن ذلك يسمعون في المواعظ والخطب ولا يعتقدون في الخطيب بل هو إمام لا غير وهذا يقضي الحوائج بنفسه ومقصودنا إتقان الوجهة لحضرة المولى الواحد جل وعلا الظاهر والباطن لا أننا أنكرنا المراتب الولاية في خلق الله بل ملك الله يظهر سره على أيدي أوليائه فهو الظاهر والباطن في حضرة أوليائه فيجب إفراد الوجهة لحضرة الله وتعظيم أهل ولاية الله باتّباع طريقهم القديم وأما أهل

⁵⁴ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ (152) سورة البقرة.

الطريقة الأولى فإنهم في أصل خلقتهم ودخولهم فيها تجلى فيهم صاحب الطريقة بحلته المجردة من غير وغيرية فتجدوا عند تلقين العهد لما تقدم من أن النبي كثر تصريفه فيها وكثرت أنواره بل ما من واحد دخلها أو أراد دخولها إلا وشوقه النبي صلى الله عليه وسلم بذاته الشريفة يقظة أو مناماً بحسب الزجاجة على ما يطيقه فينزع صلى الله عليه وسلم في أركانه الباطنية جميع الحظوظ ويقنع باتباع الشارع لما وقر في صدره من الإيمان الكامل ويسكنه صلى الله عليه وسلم بجيوشه وشريعته وإن لم يقرأها فلا قصد ولا يجتهد إلا في إتقان الوجهة فيفهم ذلك كله عند الإذن بلا معلم بل بإلهام فضل نبوي فتجدهم كالجبال الراسيات في إيمانهم ولا يعرجون على مرآئهم فيعدون كلام شيخهم أقوى ما يستدلون به على أحوالهم فتجدهم ينقبضون عند المرآي وعند الوقائع الولائية فيقولون لو كنا محبوبين عند الشيخ ما رأينا شيئاً ولا ولينا شيئاً فيتفطنون بالمكر عند مرآئهم كما كان يقول من لا إيمان له إذا رأى واقعة أو كرامة فيشهد على صحة طريقة شيخه بالرؤية الخيالية التي لا

تنضبط في الغالب لاختلاف الأحوال وذلك دسيسة نفسية حيث حكم على الشريعة والطريقة المستمدة لله بخيال أو شبهه والعجب كله لمن يستدل بالمنام على اليقظة وبأوهامه على كتاب الله وسنة رسوله وطريقة شيخه فتجده يزيد في العبادة بشروط الطريقة بمنامه وينقبض عند عدم الرؤية والرائي فلو صلح لاكتفى بما عند سيده من غير تعرض للغيبات بعالم الخيال صحيحاً كبيراً لكن لا يفهمه ولا يعرفه إلا من فني عن عالم المشاهدة بإتقان الوجهة معتقداً أن لوازمه في قبضة سيده وما على العبد إلا القبول والأدب لحضرة السيد وعليه فلتعلم أن الأمر بحسب المثل كملك عظيم الخزائن والعبيد خلف عنه لعدم مناسبتة للعبيد واحداً من العبيد ونزل منزلته وجعل مفاتيح خزائنه في يده وأذن له أن يمضي وينفذ جميع ما كمنشه وكتبه في كتابه ودفع له كناشاً له وأمسك عنده كناشاً كبيراً قدر فيه جميع الأرزاق والوقائع الخلقية ولم يطلعه على جميعه بل أطلعه على بعض الإشارات له تنبيهاً منه على عظم ملكه وأمره وعلى أنه إن بدل في التقادير الرزقية يأخذه

بالكناش المكتوم عنده فيجعل كتمه الخوف من مقام الملك
فيسهل التنفيذ بما عنده وبين له مقصوده في أمر ملكه فلما
ظهر ذلك العبد بلباس سيده الذي هو الأمر والإمداد وهو من
جنسهم والسيد لا مناسبة بينه وبين أهل مملكته لعظمة جلاله
وجماله حق على العبيد .⁵⁵ أمر الخدمة بوساطة عبد منهم وهو
حجاب بينهم وبين قهر الملك فخطبهم الملك على كرسيه بأن
أمره وشؤونه في يد عبده الخليفة عن ملكه في كل أمر أمر
فامتثل كل العبيد أمر السيد محبة فيمن جانسهم في العبودية
فسرت البيعة في كل روح لأن الملك قال لهم فمن أراد بابي
فليلزم باب خليفتي ورضاه ومن أطاعني أطاعه ومن رضي عنه
رضيت عنه ومن قبله قبلته ومن أعرض عنه أعرضت عنه ومن
عصى أمره عصاني ومن عصاني أغضبني ولوازم الغضب ظاهرة
أعظمها التحية عن حضرتنا وخدمتنا ومن لم يدخله لا مطمع له
فيه ومن أدخله علمت أنه حبيبه فأحبه وهو خليفته وحاجب

⁵⁵ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بلفظ "العبد".

حضرتہ ودال علیہ ومعلم ومرب والملك غني بنفسه عن الخليفة ورعيتہ تهديداً للجميع فعرف العبد الخليفة قصده وعرفت العبيد إشارته ببركة الخليفة فحصل العلم القطعي للخليفة بأنه ليس هو عين الملك وإنما هو عبد مثلهم وإنما ذلك سياسة وعرفت العبيد بأن الخليفة ليس هو الملك وإنما نزل منزلته في الأحكام فنصب الخليفة حاجباً منهم يظهر أمر سيده فكلفه بجميع لوازم سيده وأعطى له كناشاً من السياسة منسوخاً بعضه من كناشه وبقيت أمه عنده للمحاسبة والحجة به ليلا يغير ما كلف به فدفع له الخليفة مئونة جميع العبيد تجرى على يده بالسياسة فإن أساء يوصله لسجن سيده ففرق الحاجب جنوداً وكبر على كل جند واحداً ممن رضيه وقبله الخليفة فأفاض جميع ما في يده لأيدي كبار الجند وتبع ما رتبته الملك في سياسة الملك فإن الخليفة له مئونة بلا حساب والحاجب له مئونة مرتبة على أيدي الخليفة مائة مثلاً وكبير الجند خمسون مثلاً وقائد رحي العسكر خمسة وقائد المائة ريال والمقدم على الجند المخصوص نصف والنفار للعسكر ربع ريال

والنفر المفرد لا تكليف عليه إلا الخدمة الملكية درهماً واحداً والكتاب مثلاً ريال لكل واحد مثلاً فالنفر بالعرف الملكي يجب عقلاً وأدباً أن يعتقد أنه خادم لواء الملك لأنه في زمام الملك وأنه لا يأكل إلا رزقه وليشكر الواسطة الكبير عليه ممن يأخذ مؤنته منه بتعظيم جنابه وأنه أقرب منه إلى الملك لأن النفر مقيد في كناشه عند الملك لأنه ملكه وسياسته وتقديره وإرادته فإن خرج عن حضرة كبيره فلا يجد من يقبله في خدام الملك في زمام الملك بأنه يأخذ على يد فلان كبيره أياً كان ولا يحتاج إلى من يعلمه ذلك فالنفر يخدم حضرة الملك وحضرة كل كبير عليه من خليفة وحاجب وقائد رحى وقائد مائة والمقدم بحيث لا يمكن له أن يجرد واحد بالشكر بل كل واحد كبير عليه ممد له وهكذا إلى حضرة الحاجب وإلى حضرة الخليفة والمرتبة العليا تمد السفلى ولا منة للسفلى على العليا إلا بالامتثال أدباً فحينئذ يراعي حرمة أدبه حتى يرتاض بالخليفة لا يأكل إلا ما قدره له الملك ولا يعصيه لعظم أمر الجلال المشاهد عنده وكذلك الحاجب لا يعصي وإن أمكنت منه

المعصية للحجاب بينه وبين سبحات الجلال لكنه ممنوع بالاصطفاء وجلال الخليفة والكبير على الجند لا تخطر المعصية في قلبه لما دهمه من صحة الخدمة النظامية بل لا راحة له إلا في تنظيم أمر الملك ولما دهمه من جلال الحاجب وقائد الرحي ففني بالشجاعة حتى لا يعرف وجه المخالفة لأنه سيف الملك ومنظره وقويت عليه قوى الملك لأنه يده وقائد المائة يخالف في بعض الوقائع لملاحظة من دونه لتكون له يد عند كبيره ففشل عن القوة بحظ نفسه حيث أحب أن يحبه كبيره وقلّت ملاحظته للملك وأما من فوقه فلا حظ عنده بل أغرقته سبحات من فوقه مع الوقوف على التنفيذ والتنظيم والشجاعة الحالية والمقدم على النفر يخدم على وجه الخوف مع رعاية شهوات نفسه ممزوجة بنخوة أمر قائده والنفر يخدم مع الجسارة عن حضرة مقدمه من غير تعرض لشيء زائد عن صائر نفسه مع القيام على ساق الجد في الطاعة معرضاً عما اشتغلت به ولاته والنفار شغلته النفارة في بعض الأوقات فلينته بها ومن تبع الجند من الضعفاء والمرضى فسهمهم الرخص لا

دخل لهم في أمر التولية الملكية وهم ونساء الخدام وأولادهم قبل التولية وأهل الحرف المعاشية قبل التولية إن كتبت وكل من تبع الملك لكرمه أو سطوته من غير داعية العبودية المحضة في بحبوحة الفضل وهم مظاهر أهل دولته وأهل دولته مقصودون للملك فظهرت آثار مظاهره فيهم فمثال الملك له المثل الأعلى خالق الخلائق جل وعلا ومثل الخليفة عنه إطلاقاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثال الحاجب خليفته صلى الله عليه وسلم في كل عصر رسولا أو نبياً أو قطباً ومثال الكبير على كبراء الجند الأمير اليميني في الديوان ومثال كبير على بعض الجند الأبدال ومثال قائد الرحي أهل الأحوال من الأولياء فهم سيوف الله فهم أنفع الناس بهمهم وأضرهم بها لعدم الصبر على المقادر مضربين شجاعتهم وغيرتهم على رعية الملك وحرمته من آداب الحضرة الإلهية فتساعدهم لقوة غيرتهم مرة وتقهرهم أخرى لسوء أدبهم وهم فانون عن أنفسهم مغلوبون بسبحات الله ومثال قواد المائة من دونهم من الأبرار والصالحين المستنجدين لله ومثال نفر بقية المستخدمين في الولاية

الظاهرة كالخطط فهم أكثر الأولياء تبعاً وبعداً وخدمة مع عدم الأدب ومثال النفار مثال القصاص من الوعاظ وأهل الخطب فهم وإن تعلقت مصالحتهم بجميع الجند لكن لم تغنهم المهمة بالأعمال ينفعون بنفس أشداقهم بلا أدب وعمل صالح يأتقان الوجهة بل يجعلون العلم صنعة وحرفة للكسب المعاشي ويعدون ما بيد غيرهم من الحرف أعظم مما عندهم فلو وجدوا السبيل للولاية والتجارة لتركوا الخطب فهم خدام في سياسة الملك بلا قصد لها بل لحرفة يستغلون غلتها بالخراج المالي ومثال الضعفاء والمرضى ونساء الخدمة ومن تبع الملك لكرمه أو لخوفه بقية عوام الخلائق الذين لا دخل لهم في أمر سياسة العالم بل هم فلاحون مثلاً وتجار فهم سهم الرخص فكبير الجند ومن فوقه طريقة محمدية لتجردهم من الغير والغيرية في كل عصر فهم محل نظر الله في كل عصر لصفاء طوياتهم من الحظوظ وهم المربون في كل عصر على الحقيقة وغيرهم من المدعين إنما يضلون عن الطريق المستقيم وقواد الرحي رجال الغيرة لا غير تجلى فيهم الملك بقوة الغيرة لا يصلحون للمشيمة

لوفور صولتهم وقائد المائة مرب لمن دونه تربية مقيدة بمقدم المائة ومقدمه كذلك فلم يطلق لهم في التربية لقوة حجابهم والمقدم مثال بعض المرين بتربية خاصة لقوم مخصوصين ومثال الأولياء الذين لم يعط لهم السراح لحضور الديوان الملكي الذي تدون فيه آراء خدام الدولة على اختلاف أجناسهم ومراتبهم سياسة لا غير وترتيباً لأمر الملك ولا ينفذ إلا ما أراده الحق جل وعلا وإنما تجليات الأسماء تتلون في رجال الغيب ولا يبرز إلا ما دون في كناش الحق المكتوم بالنفر العسكري لأنه خادم في الانتظام بل هم المقصودون بالتنظيم وهم كثيرون أقلهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً فلم يكن بلد من بلاد الله إلا وفيه واحد تنظم عليه الأمور الحقية فإذا انتظم بالمثل علمت أن رجال الغيب المعنبرين المؤيدين الصحابة في كل عصر وهم الذين تبعوا مقتضى إيمان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا الله من غير ملاحظة حظ نفسي دنيوي ولا أخروي حتى أتاهم اليقين أمر الله بالرجوع الكلي إليه ومعنى الرجوع الكلي فناء الذات الترابية الغليظة التي شأنها الركون إلى

أمر شهواني فإذا سحق الله مراسمها بالمراضيخ الملكية صارت الروح موصولة بلا حجاب القارورة الجثمانية وكذلك من تبعهم من الأقطاب والأفراد والأوتاد والصديقين والأمراء والنقباء فهم على طريقة محمدية ولذلك صح ظهور أوامر الله فيهم وغيرهم من أهل التصريف مائلون بعد القرون الثلاثة عن الطريقة الأولى لأنهم باعتبار مقام المحمدين كالعوام الحمقى ببشريتهم فإذا علمت أن الثقلين على قسمين قسم مستخدم في أداء السياسة الملكية وهم النفر إلى من فوقه وقسم استخدمتهم نفوسهم واستخدموها تارة في مرضات مولاهم وتارة في مرضات نفوسهم وفي الحقيقة لا يسارعون إلا لنفوسهم فإن جدوا على نفوسهم حتى استعلوا على أحكام الله وتجبرت نفوسهم فهم أرذال العوام الكفار وإن لم يصلوا إلى حد الاستعلاء بل يخالفون لنفوسهم مع تقييد قلوبهم بدين الله على يد نبيه وإنما يلعب بهم الهوى فهم عامة المومنين في كل عصر ثم الخلائق قسمت إلى ثلاثة أقسام أيضاً عامة وخاصة كقواد الرحي ومن دونهم من أهل الانتظام الملكي وخاصة الخاصة وهم العارفون

الأعلون فمقام الخاصة مقام الإيمان المصطلح عليه عند القوم ومقام العامة الإسلام ومقام خاصة الخاصة مقام الإحسان وكل مقام له مواقف ثلاث يقف فيها رجال مناسبون للمواقف فالعامة على ثلاثة والخاصة على ثلاثة والعارفون على ثلاثة فكل جنس يقف لموقف يناسب همته ولم يجز مقام الإحسان في كل زمن إلا الرجال المحمديون فهم المحسنون وجهتهم المتقنون أفرادها لحضرة سيدهم والخاصة يعبدون للجنة لا لله وعبادتهم صحيحة في ظاهر الشرع بحسب ذوق مقامهم وفاسدة قطعاً بحسب ذوق المحسنين العارفين والعامة يعبدون للدنيا وللحفظ من النار فعبادتهم صحيحة بحسب ذوق مقامهم وناقصة عند الخاصة لعلو ذوقهم عنهم فالمقامات الثلاثة جميعها دين كامل والأول فقط ناقص والثاني مع الأول ناقص والثالث مع الأولين كامل جداً وعليه فالدين الكامل ما كان عليه أهل الطريقة الأولى من الصحابة والكبير ومن فوقه وما شاكلهم في دينهم من أفراد العبادة لله بالله وعلى الله وفي الله حتى جلس على كرسي العبودية المتولدة عن العبودية فالعبادة مقام الإسلام

والعبودية مقام الإيمان والعبودة مقام الإحسان وعلى نهج الطريقة الكاملة السنية رد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة أمته ولبابها وخيرتها وميزها من حثالتها ونقاها بتربيته على الوجه الأكمل على يد صاحب الطريقة الأولى المشار له عند أهل الذوق السالم في كل عصر من زمن الصحابة إلى ظهوره في حدود السبعين من القرن الثاني عشر وقد أكثر جده على الطريقة .⁵⁶ الأولى بهمته وعلمه سيفه أسد الله حيدرة سيدنا ومولانا نعمة الدين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجوهرة أصل النبوة وتفاحة الجنة الملكية الآدمية الحورائية وبجواهر الخلافة عن الله نور القطبانية في أولاده إلى يوم القيامة الكلام عليه وعلى مقامه وعلى أنه حجاب بين الطوائف كلها وبين سر النبوة ووصفه بالختمية الكنزية الكتمية وصار هو سالا سيفه على طريقه حفظاً لحرمة أهلها لأنها مفرعة عنه في كل عصر وفتح باب المجال لكبار بحار الأولياء في كل عصر حتى عقد

⁵⁶ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "طريقة الأولى".

كل عارف بيعته في الغيب وسماه بعض الأكابر باسمه ولم يميز بلده وادعى قوم مقامه ثم تدرءوا بإذن إلهي إلهامي لعظم مقامه ومقام أتباعه فلما أبرزه الله ذهب نجوم الأفلاك الولائية لستر مقامهم بظله فصار لا يظهر أحد إلا فيه إلى قيام الساعة وينفر على ما كانت عليه الطائفة الثانية من الركون إلى الكشوفات الكونية وبين دسائسها وأنها طريقة معوجة كل الاعوجاج فالطرق ثلاثة طريقة الجنة معوجة إلى جهة القلب وهي منحرفة عن الحق كل الانحراف لولا فضله جل وعلا لأذهب رسوم وأطلال أهلها لسوء أدبها لأنهم سافروا إلى غير الله واستعملوا القربات التي وضعت لعبادة الله في طلب غيره الذي هو حظهم الشهواني في الجنة ذاتا ونعيما وطريق النار معوجة منحرفة كل الانحراف عن الحق جل علاه إلى جهة شمال القلب وهي طريقة فاحشة حلوة خضرة وطريقة مستقيمة معتدلة محجة بيضاء لا كدية ولا وادي ولا قاطع ولا تعب ولا تكشف فيها وهي طريقة الحضرة القدسية الحقية وغيرها باطلة في عرف

العارفين أهلها وهي ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾⁵⁷ . ﴿مِنْ
التَّيِّبِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾⁵⁸ . التي هي طريقة الفضل
الإلهي طريقة الحمد والشكر وطريقة الخلوة القلبية لا البدنية
المجردة عن كل ما يشغل ويحجب عن سبحات جلال وجهه
جل وعلا النقية بلا احتياج إلى التصفية بل هي صافية بصفاء
أهلها بالفطرة الإسلامية بحيث لم يحدث أهلها قصداً يقطعهم
عن سيدهم بل بقوا على ما كانوا عليه في عالم الذر عالم البرزخ
القاهر كل جوهر وعرض بخرقه العوالم كلها من أرض وسماء
وجنة وعرش مبدئه من الأرض السابعة وهي متسع جداً لسعة
مجال العلم فيه وهي مسكن الكفر والشرك أهل الخلود في
غضب الحق جل علاه فكل روح تقابل مقامها الذي أريد بها
وأعلاه أضيق الأشياء لقلّة وذهاب رسوم العلم الفطري فيه وهو
مقام سيد العوالم صلى الله عليه وسلم خارقاً العرش سقّف
الجنة فالروح فيه مجردة من الغير موجهة لسيادة سيدها لعظم

⁵⁷ (7) سورة الفاتحة.

⁵⁸ (69) سورة النساء.

الجلال وقهره بالمعانية فإذا علمت أن الذي يعبد الله على الحقيقة أهل الطريقة والمربون المشايخ الأكابر قواد الطريقة الثانية بعد تصفية بواطنهم من الحظوظ النفسانية ظهر لك أن القرن الثاني عشر مفضل على القرون قبله لمن حل غير القرون الثلاثة الذين سلكوا إلى الله بلا قصد شيء يوصلهم لأنه ظهر فيه نائب النبي صلى الله عليه وسلم على الحقيقة إلا على ما يدل عليه صلى الله عليه وسلم من توحيد العبادة لحضرة الجلال مضرباً عن الخواص وفضائل القربات بحيث لا يلتفت إليها ولا يركن لها ولا يترك تابعه يتشوف لها عالماً بأن الفضائل إنما ذكرت تشويقاً للمريدين لحضرة المهدي جل وعلا لا إلى الهدية فقسم العبادة إلى أربع قاصد بذكره غرض نفسه من الدنيا والآخرة والفتح والكشوفات والأسرار والعلوم بحيث لم يستعمله إلا له فهو شرك حرام فهو ظالم قطعاً قاصد بذكره وجه الله مع ملاحظة حظه بخاصية الذكر فهو أخف من الأول وهو شرك وقاصد بذكره وجه الله لا غير مع ملاحظة قضاء حاجته عند اختتام الذكر لا بقوته ولا بطبعه ولا بخاصيته فهذا عابد لله

مع نقصان مقامه بالملاحظة وهذا المقام هو مقام ضعفاء طريقته وهو مقام الجهل في مرتبة الإحسان وقاصد بذكره الخاص العبودة للعبودية قبلها من غير تعرض لرائحة غرضه عند التلبس بالقربة وكذا بغور قربها قبلها وبعدها بل فنيت مراسمه عند ذكر جلاله بالهيبة وعند ذكر جماله للأنس وعند ذكر رحمته بالفرح وعند ذكر كرمه بالشكر وعند ذكر قهره بالخوف وعند ذكر قوته بالضعف إلى ما لا نهاية لصفات الرب فكلما ذكره بصفة لبس حلة ضده فيذكر امتثالاً واستحقاقاً أو شوقاً أو غلبة بلا تعمل فيه بل يذكر الله بالله لله في الله فانياً عن نفسه بذكر أوصاف سيده قانعاً أن كان آلة يحركه الله لمجاري أقداره وهو الذي خلقها وعرضها لما شاء وحصل له العز الدائم بسيده فعزه قديم لا يفنى ومملكه ملك سيده لا يبلى ومدده من سيده لا ينفد وعلمه علم ربه وهديته هدية سيده لا تنقطع لأن فعله فعل واحد فكمل وارتقى لحضرة سيده مضرباً عن عمله مشاهداً عند مباشرة عمله سراية فعل سيده وأنه لا تأثير لشيء مع الله فأهل الطريقة الأولى كلهم عوامهم وخواصهم منزلون منزلة

المشائخ في الطريقة الثانية لأنهم أحسنوا عبادتهم ولا يمرون إلا به ولا يحبون إلا المحسنين ويكرهون أهل الدعاوى للولاية أي من يحبون الولاية لأنه يناقض العبودية فالعبد عبد وإن قربه سيده فسيده هو الفاعل وهو محل فعل سيده وهو مقهور بالملك والعجز والتحجير عليه بحيث لا يعطي ولا يمنع إلا به فهو غاية الذل لو عرف فعرف ذلك أهل الطريقة الأولى وتجردوا من دعوى الولاية وإن كانوا أولياء بالله ولا يظهرون ذلك بل يباشرون ما كلفوا به ولم يروا لأنفسهم عملاً ولا قدراً لأنهم علموا حق العلم بأن الولاية الحقيقية للسيد والعبد وإن عظم أمره عند العبد فإنما ظهرت عليه عظمة السيد وهو مجرد منها لأن العاقل لا يعتبر إلا الأصل الذاتي فأصل العبد ذل الملك والتحجير والضعف والفقر حيث لم يملك نفسه فضلاً عن غيره وإن تذلل العبد فذلك عزه وإن تعزز بعين الذل الحقيقي فالمطلوب من العبد إتقان الوجهة بظاهره كما أتقن باطنه الذي هو أصله فأصله بالغ نهاية العبودية طائعاً أو عاصياً لكن العبرة بالظواهر فإن وافقت البواطن فهو عارف وإن خالفت فهو

جاهل عبودية أصله من عرف نفسه عرف ربه فتجرد أهل الأولى ولا يحبون إلا الشريعة فيترتب عليه حب ما استحسنته وبغض ما استقدرتة ((الحب في الله والبغض في الله من الإيمان))⁵⁹ ولا يشتغلون بإزالة الحجب بل رضوا بما هم عليه وهو عين الفتح فمن أتقن وجهته وأحب الشريعة فامتثلها وتجنب كل ما حدث بعدها فهو العارف وإن كان ظاهره من جملة العوام فمن كان بصيراً بالأمر ثم غمض عينيه فهو عارف كفتحها (لو كشف الحجاب ما ازددت يقيناً) فعليك أيها الأخ بالانتظام فيها راضياً أن تكون منهم أو محبباً لهم فهم عين العارفين الذين ظهروا بالمشيخة وإن لم يعرفوا عقبات السلوك فإنهم أقرب ممن عرفها وبعلمها للناس ويشئت فكره بها في أول سلوكه ومن أحسن وأمسك عن الخوض في الإرادة التي هي عين الحجاب مضرباً عنها فقد فتح عليه أكبر من كل فتح وما يترتب .⁶⁰ عن إحسان الوجهة إنما هو غلة إتقانه ولا يعرج على

⁵⁹ الراوي: عائشة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4918.

⁶⁰ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يترب".

الغلة بل على الأصل لاستلزامه الغلة فتجدهم فانيين بالأصل
كاتمين أسرارهم لأن من ملك الأصل يعرف الغلة ويستغلها أحبها
أو أضرب عنها لأن الغلة ناشئة قطعاً عن الأصل بالله فمن
وجد بعض الغلة عند غيره بهدية أو كراء نقص مقامه عن ملك
الأصل والغلة فشده يدك معاً عن الطريقة النبوية التي بينها
سيده بوحى إلهي ورد خاصة أمته إليها بعد أفول نجوم بوارق
الطريقة الثانية ولتعلم أن صاحب الشرع الآن صلى الله عليه
وسلم قائم بأهل الطريقة الأولى كزمانه بل أشد منه لأن زمنه فيه
السيف وهذا الزمان إنما فيه سيوف أنواره ويقتص من أهل
البدع يأمسك أنوار جماله وشريعته عنهم حتى يرجعوا إلى الله
فإذا تمهد لك بالأدلة أن الطريقة الآن إلى قيام الساعة هي التي
كان عليها أهل الهجرة والنصرة وأنها مناقضة كل المناقضة لها
لأنها حاكمة على الثانية دون العكس ولا يستدل بأحوال أهلها
حال السلوك من اجتهاد وخلوة على الأولى وأما شيوخها
المسلكون بسياسة ترقيق الحجاب فتقدم أنهم من الأولى وإنما
فعلوا ما فعلوا لغرض السياسة لا غير وهم عالمون بأنها معوجة

لغرض تمنية الضعفاء لا غير وأما هم فغرقى في بحور الإحسان
ولذلك يوجهون الناس في آخر أمرهم الى حضرة الإحسان
وعليه فما يذكر في الكتب المؤلفة في الثانية كإحياء علوم الدين
وجواهر الخمس وقوت القلوب إنما نطالع كتبهم لسعة في
أحوالهم تدبراً بها لا غير وأما أهل الأولى فلا تناسبهم إلا عوائد
وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ومن ورثه إرثاً كاملاً ياتقان
الوجهة فتتبع أخلاقه صلى الله عليه وسلم يغني عندهم عن كل
حكاية من الثانية لاختلاف الأحكام وعليه فقد أخذتني الغيرة
حتى ارتعدت فرائصي عن الطريقة الأولى التي تخلط بالثانية
بذكر هم أهلها فهمهم قاطعة بحسب ما في كتبهم لكن لطلب
حظ لا في العبودية التي هي عين العز لكل عبد فلا أحب من
يطالع كتبهم ممن لا خبرة له بما سطرناه وإن كان محسناً لأن
المحسنين منهم من عرف وجهه ومنهم من أحسن من غير
مبالاة بالعواقب والنتائج وهم العامة فيه وعامي المحسنين أعظم
من سائر أهل الثانية قبل التجريد وأما بعده فهو من أهل الأولى
لأن شيخه مجردة فعلى أهل الأولى مطالعة سير نبيهم وهو

الشيخ الأكبر لأهلها لأنه صلى الله عليه وسلم قال لحامل ألويتها ((أنا شيخك ومربيك وكافلِكَ فلا منة لمخلوق عليك. **وقل لأصحابك لا يتعلقون بأهل الثانية**)) المسمون في عرف العامة بالأولياء لظهور الكشوفات على أيديهم وأما أهل الطريقة الأولى فلا يسمون عندهم أولياء لأنهم بريئون من دعوى الولاية عالمين أن الولي هو الله محتشمين منه وأن صرفهم مولاهم تصرفوا به وكنتموا أمر الخدمة الملكية فافهم قوله **لا منة لمخلوق عليك** وكذا على أصحابك متكلماً صلى الله عليه وسلم عن لسان الله في قوله لخ وعن لسانه في قوله أنا كافلك ومربيك بأمر من الله جل علاه تظفر بكنز سر الصحبة منه ومن أتباعه فاقنع أن تكون من أصحابه صلى الله عليه وسلم ولا تطلب أمراً زائداً عنه فشد يديك عن مقامك الذي هو الإحسان مطلقاً شاكراً لأنعمه مجتنباً مختاراً للحضرة القدسية منعماً بها في الحضرات كلها سواء أزيل الحجاب أو ثبت لأنه في حقك عين الكمال ولا تغفل عن سيرة شيخك آخر عمره لأن النسخ يكون في الطريقة كالشريعة لأنه إنما هو إشارات صاحب الشرع

شيخه وقد قال شيخه: واجتهد في النفس وعدم القصد فإن للحضرة الإلهية باين باب مفتوح وباب مسدود فإذا برزت العبادة من صاحبها بقصد شيء من أغراضه ولو معرفة سيده ورضاه تمر عبادته إلى الطريقة الموصلة لباب مسدود عليه فتحجب عبادته ويحجب صاحبها وإذا برزت من صاحبها بلا قصد شيء معها تمر في الطريقة الموصلة إلى الباب المفتوح فتجده مفتوحاً فتدخل ويدخل صاحبها ويقبلان معاً وذلك غاية الأدب وهو أدب العارفين فإن توجه بعبادته لطلب وصل حضرة سيده ليرضى عنه فعبادته صحيحة غير سالمة من شوائب الحظ فإن أتقن العمل بالشروط يدر له الفلك به وهو متعمل والفضل لا ينال بتعمل ولا بتكسب فإذا تبعت سيرة شيخك كما في كتبه بعد موته حصلت على حقائق الدين كلها لأنه إمامه ومحبيه ونائب في التشريع والتوصيل وغاية سيرته تجريد النبي صلى الله عليه وسلم له من كل حظ فقال له فلا تقصد شيئاً فإن طلب الفتح معوق له في الطريقة الأولى فإذا تجردت لشيخك أنك في قبضة سيده وأنه لم يكن على الحقيقة غير الله

وعبيده أعوان مملكته فيجب عليك أن تحب سيديك وتحب له
عبيده على مقتضى الشريعة بحيث لا تميز كبيراً من صغير ولا
طائعاً من عاص فإن أعلمك مولاك بهم فاخدم سيادة ساداتك
العبيد ونزلهم منزلة سيد حاكم صائل فاخدم حضرتهم على
مقتضى إشاراته جازماً بأنه هو الهادي الفاعل بالاختيار وأنت
مضطر في المباشرة وإن جعلك كبيراً أو قائد رحي فاعلم أنه
ترتيب الملك لا غير ولا حظ لك في العمل والاستعمال فإذا
عرفت ربك فاعلم أنك لم تعرفه بنفسك بل هو المعرف لك
وإذا فنيت فاعلم أنه هو المفني لك فإن وحدت فهو الموحد فإن
علمت فهو المعلم ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾⁶¹ . حكاية عن المخلصين الموحدين المفردين
الذين لا حظّ لهم مع ربهم أصلاً وإن استعملك فهو العامل وإن
أهملك فهو الفاعل ولا حظ غير أنك مظهر أسمائه فإذا تعدت
عليك سيادة العبيد فلا تنظر فيهم إلا وجه سيدهم سيديك

⁶¹ (32) سورة البقرة.

واصبر لأذاهم فإن الإذاية اقتضته سيادة متعددة فبعض يحبك
منهم وأكثرهم يحب تأديبك بالقال والفعل ولم يكن فيه إلا الله
لأنه المحرك لهم فلا حظ لك في مقابلتهم بالإساءة ولا
بالمسامحة لأنه محرّكهم ومكلفهم وإنما يسمح الإنسان إن ظلم
فأنت عبدهم مكلف بهم ولا تنظر حالتني الإحسان لك ولا
الإساءة غير سيدك الحق ظهر أثره في الخلق ومن ضربه عون
القاضي فإنما ضربه القاضي لا العون وعليه فلا تشاهد غير
مولاك لأنه مع ظاهره وباطنه بذاته وصفاته وأسمائه غير بعيد
عنك بل أنت حادث طارئ في حضرة وجوده خيال في
حقيقته جل وعلا فلا تحب إلا مراد الله من غلاء ورخص
وفرح وسرور وبسط وقبض في حقك وفي حق ساداتك العبيد
وقر عينك بهم فهم مراسل سيدك لك بأي أمر وعليه فانظرهم
أعواناً وأكرم مثوهم وارض بحكم ربك فإنه أليق بك فلا تشتك
بهم قطعاً لأنه عين القطع عن حضرة ربك فإنك لو فهمت عن
الله لوجدته الفاعل فتشتكي بسيدك لسيدك بل واجهك أحد
منهم بإذنه تنبيهاً لاستجماع أدبك وفقره وقد أكثر البلاء لأكابر

الرسول والأولياء ليكثر شهود مولاهم في كل فتنة من الخلق
ليزيد كماله وعلمه بفعل ربه ونفوذ أمره في كل ذرة من ذرات
وجوده فأكثر الخلق صبراً لعبيد سيده سيد الكل وإمامه صلى
الله عليه وسلم لشفوف مرتبته عند مولاه بمشاهدة سيده في
كل شيءٍ شيءٍ ويقنع مما سواه أتم قناعة ثم من يليه من لبس
حلتة الكاملة من الرسول والأولياء تنبيهاً على مشاهدة الحق في
حضرة الحق فيعظم قدره عند مولاه بالجمع بين حضرات الحقيقة
في الخلقية حلواً ومرأاً ثم إن الأمير يجب عليه نظراً أن يعتقد أن
المقصود عند سيده بالذات الرعية لا الخدمة لأنه إنما هو سهم
المخدومية والمخدوم أعز عند المؤتمر فإن صلح وإلا يعزله
ويولي غيره هذا أدبه الأليق به ويجب على الرعية أن تعتقد أن
الأمير عليهم أعظم منهم لأنه يشاهد حضرة السيد وهم بمعزل
عنها إلا بإذن أميرهم ومعونته وبركته وشفاعته فمن صلحه الأمير
عند السيد صلح ومن جرحه عنده انجرح ويعظم أمره ويتأدبون
بأدبه ويتولاهون بحبه وشأنه وذكره وتعظيمه معتقدين أن تعظيم
أمره من تعظيم الله ويعتقدون نفوسهم بمنزلة أولاده الضعاف

الصغار متضرعين لأميرهم فيما نابهم متوسلين به لحضرة السيد
فهذا أدبهم ومن أخسر الميزان ضل ضلالاً بعيداً عن الأدب
ولا تتعرض لأجرة على الولاية لأنك عبد لا أجرة لك وقول
بعض الأصفياء ﴿إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾⁶² فمن باب خطاب
الناس بما يفهمونه لا أنه صمم على الأجرة فإذا تجردت من
الثواب والعمل والولاية بحيث أدبرت عن نفسك ولوازها
وفنيت عنها كل الفناء العلمي والذوقي أشرفت عليك شمس
الأسماء والصفات فإن فنيت عنها بالذات أشرفت عليك بحور
شمس بحر العمى الرباني فتفسد مسامك بعد افتتاحها
بالأسماء ويبقى انفتاحها وانسدادها وتفننى المسام الظاهرة
والباطنة وتطلع شمس سماء غيبة أنسه في سماء هيكلك
الفاني فيبقى هباء اندقاق سماء أرض بشريتك موصولاً بسماء
أرض سيدك مفروقاً معها مجذوباً بمغناطيس هيمن السعادة
الكرمية فتكون أنت ولست أنت بل ترياق معاجين الرحمة

⁶² (72) سورة يونس.

الربانية لحضرة الرضى الخلقية فتصير معافاً بعافية سيد الكل وهي التي كفلها من حضرة سيده التي هي عين الفناء والصحو في كل تجل ذاتي أو صفاتي فتجلى بمقام حلة الاسم الذاتي المطلسم عمن ليس من جنسك ممن سحق ودق وأحيي بنبات بذر اسم سيدك الحي فتحيا لك وبك أغصان السعادة الفضلية فتسعد بنفس واحد منك العوالم الرحمانية الخاصة وعليه فلتعلم علم ذوق وهبي بأن الكتب الربانية ما كتبت وكذا الأنبياء ما نبئت ولا أرسلت إلا لأمر واحد ومطارقتهم لموضع واحد وذوق إشارتهم لمعنى واحد وكذا العلماء ما ورثت وأرسلت نيابة ولا ألفت ولا سهرت ولا قصدت ولا توجهت أقوالهم إلا له وكذلك الذاكرون ما ذكروا وكرروا الجلالة والتسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لذلك المعنى لا غير يفهمه من آمن إيماناً كاملاً وهو توحيد العبادة لحضرة السيادة الحقية فشرع جل وعلا الشرائع الكثيرة وأرسل رسلاً كثيرة له لا غير فهمه من فهمه وصار عارفاً بربه وجهله من جهله وصار غريقاً في بحر العامية الصرفة وعليه فاعلم أن الإنسان مركب من ذاتين

ذات روحانية باطنية وهي أعظمها مقصودة بالخطاب الإلهي وهي نور صرف لا يعلمها إلا من تخلق باسمه جل وعلا الباطن وهي لا يناسبها إلا بحر الأنوار الربانية ومأكلاها ومشربها ومركبها وملبسها في العلوم الثقيلة ثم الذوقية اللدنية الوهبية ولا حظ لها في التراب ولا في نباتها من حيوان وجماد وحب وغيره ومسكنها البرزخ وما اشتمل عليه من روائح ربها فلا تحب إلا لذتها وهي التمتع بحضرة سيدها ولوازمها من أزمنة البرزخ والآخرة وأمكنتها وهي في أصل خلقها عارية منعمة صافية من كل كدر عن حضرة مولاهما ولا تحب الجنة إلا لأنها مظهر سبحات وجه سيدها فتفرفر عند سماع الجنة له لا غير والثانية ذاتية ترايبية غليظة كثيفة فلا يناسبها إلا التراب وما ينبته فلما نبت من تراب غليظ لترايبته وثقله أرأيت أن الدنيا أثقل وأغلظ من الآخرة ونعيمها وكذلك كلما نبت من التراب من الحيوان والجوامد والنبات والنعيم وعليه فأكلها ومشربها وكل منافعها مقصور على التراب ولوازمه بحيث لا تعيش يوماً واحداً إلا بأصلها التراب وهو أمها وأصل الروح وأمها روائح الآخرة

وأنوارها بحسب أسماء الله فيها لا بها ولا معها بل بتقدير صاحب الملك جل علاه لا غير فكتبت الكتب من الحق سياسة ربانية خارجة عن سياسة العقل بل تقدم أن العقل إنما هو نور للسياسة الشرعية وبعث رؤساء الملائكة إلى رؤساء الثقيلين الإنس والجن أهل التمكين والرسوخ في بحور مقاصد التصريح والإشارة ليميزوا للثقيلين الذاتين ولوازمهما وما لا يكمل صلاحهما إلا به من أكل وشرب إلى آخر مقتضياتها يعرفه من وفق فوضحت الرسل تصريحاً وتلويحاً أن الذات الترايبية الظاهرة يجب عليها وجوباً شرعياً عقلياً أن تشتغل بالأسباب العادية التي علمها جبريل لسيدنا آدم عليهما السلام من حرث وتجارة وحرفة وكل تحرك تنفعل عنده بالله لا غير مقتضياتها من أكل وشرب إلى آخر لوازمها فبين الكتاب من الله أن الذات الترايبية يجب أن تلازم الأسباب العادية التي علق الحق جل جلاله أرزاقها بها على سبيل تغميض العين عن رؤية سر القدر الإلهي لا غير لأن الرزق يكون بالأسباب فالأسباب إنما هي عاديات والعادة تتخلف بخرقها فالنار تحرق بالله لا بنفسها

ولا قوتها ولا قوة فيها ولا طبع فيها ولا خاصية أرأيت أن إبراهيم عليه السلام خرق الله له عادته فكانت سلاماً أرأيت أن العادة المتعارفة في أمر الولادة أليس خرقها الله في آدم وحواء وعيسى وكذلك الموت قد خرقها الله للروح بجذب من الجسد ولا تموت وكذلك الحيوان يخرج من الحيوان فأخرج الله الناقة ناقة صالح عليه السلام من حجر وأخرج من أصابع⁶³ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الماء .⁶⁴ وممن ورثه وقس عليه جميع العادات الإلهية التي نصبها لنا أمانة على سر قدره لا غير فلا تغتر بالجمود عليها ولا بالخرق فإن الفاعل واحد فيهما فلا تعول الترايبية على سبب بل على سيدها فإنما الأسباب تغميض لا غير فترك الأسباب معصية والاتكال عليها كفر لأنه عول على

⁶³ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَيْتُ بِفَدْحٍ رَحْرَاحٍ، فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَتَّبِعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ، مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

الراوي: أنس بن مالك | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم:

غير سيده والسبب غير فإن الله يحب العبد المحترف .⁶⁵
ويكره البطال وهذا ظاهر الشريعة تصريحاً أو تلويحاً مع سياسة
انطوت الشريعة عليها في أمر الأسباب ألا تشغلك عن الله
تعالى وأن لا تضر بها نفسك ولا غيرك بحيث لا تأكل أموال
الناس بالباطل بكالربى فإنه يغير القلب وكالسلف بمنفعة
والتدليس فإنه يغير القلب وككتم العيب من نحو الرقيق
وكترك الزكاة فإنه يضر بالمساكين وكأكل الميتة فإنه يضر
البدن والتراب والتصريف في ملك الغير فإنه يؤذيه وكالنطق
بكلمة الزور فإنها تحرق بنار ظلمتها وظلامها والسباب فإنه
فسوق يؤذي المومنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾⁶⁶ . وإذاية الله بإذاية المومنين فدلّه
بوحداية ذاته وأفعاله وصفاته بحيث يعلم أن لا تأثير لغير الله
أياً كان فرتب وعيداً على من أهلك نفسه لأنه عبده أو أهلك

⁶⁵ الراوي: عبد الله بن عمر | المحدث: البيهقي | المصدر: شعب الإيمان | الصفحة أو

الرقم: 551/2.

⁶⁶ (57) سورة الأحزاب.

غيره لأنه عبده ورتب وعداً لمن نفع نفسه أو غيره لأنه من عيال سيده وأما السيد فغني عن الغير كله فالشريعة ونتائجها ووعيد مخالفتها مصلحة للعبد لا غير لا حظ ولا غرض لله فيه بل هو منزّه عن الأغراض جل علاه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁶⁷ . ويدل الكتاب من الله الذات الروحانية على الأسباب العادية التي نصبها الحق وعلق بها أرزاقها بحيث لا تأكل ولا تشرب إلى آخر مقتضياتها إلا من نتائج الأسباب عادة والعادة تتخلف والأسباب أمر بها الحق جل علاه فيمثل أمره ولا يعول عليها ولا نتائجها بل يعول وجوباً على السيادة المالكية الحقية وهي إقبال الروح إقبالا كلياً إلى العلوم الشرعية النقلية والعقلية وتغويصها في بحار جواهر مخدرات أسرار كتاب الله الذي هو كتاب أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتلاوته بعد امتثال ما فيه وتفهم

⁶⁷ (56 و 57 و 58) سورة الذاريات.

تصريحاته وتلويحاته وأسرار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو كلام نبوي مفسر لكتاب الله ظاهراً وباطناً لأن كتاب الله لا تدرك العقول ما فيه إلا بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو لسان القرآن لأنه متخلق به أي صار له القرآن طبعاً وخلقاً وأشربته عروقه وأجزاؤه وكيالاته حتى صار ينظر جميع ما فيه بلا تأمل بل صار كتاب الله عنده ضرورة كالسمااء فوقنا مثلاً والواحد نصف الإثنين مثلاً واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلع الله على ما كان وما يكون من جميع ما تعلق بالكون لأنه أصله وأضافه جل علاه على ما تقتضيه حقيقته صلى الله عليه وسلم من كنه الحق جل وعلا ولا حظ له صلى الله عليه وسلم فيما لا تطلبه ذاته فذاته صلى الله عليه وسلم أصل لملك الله ومثاله كمن دخل مدينة وعرفها ودخل القرويين مثلاً وكل دار بفاس وكل بقعة وكل آدمي وميز جميع ما احتوت المدينة فبمجرد سماعه فاساً مثلاً يشاهد جميع ما احتوت عليه من كل شيء بلا تأمل فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه كلمة حصلت له منها مشاهدة حقائق

مدلولها مرموزاً إليها بالحروف الربانية على سبيل الرمز الإلهي
فما من حرف منه إلا ودل على مثل فاس مركبة من خزائنها
وحسن أهلها وعلوم أهلها وولايتهم وظاهرها وباطنها وهو صلى
الله عليه وسلم محيط قبل نزوله بجميع مدن مقدورات الحق
جل جلاله بحيث لا يخفى عليه أمر ملك الله البتة فإذا قرأ آية
أو كلمة انطبع بها ظاهراً وباطناً فيفسر لنا لعامتنا ما نطقه منه
ولخاصتنا ما يطبقون في كل نفس من أنفاسه ولم يضع نفساً
بلا تعليم فإذا ظهر للصحابة يبين لهم بظاهرة وبباطنه لباطن
الوجود وإذا خفي عنهم يعلم بظاهرة وبباطنه باطن الوجود أي
الذوات الروحانية وعليه فعلم البواطن أعظم من الظواهر وهو
المتوارث وعليه فلم يبين مثلاً من المدن إلا أبواباً لا غير وبقيت
السواري والسواقي والخزائن والرقم مثلاً في خزانة النبي صلى
الله عليه وسلم فلا يسع تفاصيل المكونات مخلوق سواء
وورث منه صاحب الطريقة حامل لوائها الذي أمره أن يربي بها
إلى قيام الساعة أمراً عظيماً لا يسعه الكتب والعقل ولا الرمز
ولا الدليل ولا جميع العقول الخلقية بل اختصه صلى الله عليه

وسلم به دون غيره ممن ورثه وعليه فهو الوارث الحقيقي وغيره ممن قبله وبعده ممن يدعي مقام العلم المحمدي إنما أصابه رش منه لا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو سر وساطته بينه صلى الله عليه وبين سائر الخلق من الأولياء فضلا عن غيرهم وعليه فعلم القرآن مخزونة في خزائنه صلى الله عليه وسلم فما بينه للامة وصل إلى العلماء عامة بحسب استعدادهم وما بينه للخاصة وصل للخاصة بحسب استعدادهم وما بينه للعارفين خاصة الخاصة وصل إلى جنسهم في علم الله وما لم يفشه بقي في حوصلته مما لا يناسبهم أو أمر بكتمه وهو المفاض على حامل الطريقة الأولى ولذا استغرب ولم يطق فهم مقامه مع إقرار كبار العارفين وتسليمهم له فتحت كل حرف من كتاب ذي الجلال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف علم كل علم يحير أذهان العارفين المقربين وهذا القدر هو الذي وصله صاحب الطريقة إلى قيام الساعة ويقرره في بحوحة سكره كما يقرر العامي الواحد نصف الإثنين وكما يقرر أحدنا داره بما فيها بمجرد ذكرها بحيث لا يحتاج إلى تأمل في كل نازلة وقعت أو

تقع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .⁶⁸ فلا يقال لفضل الله ذا بكم .⁶⁹ وإذا كانت العلوم منحةً إلهية فلا يستغرب أن يدخر لبعض المتأخرين ما غاب فهمه عن كثير من المتقدمين: ((خير الأمة أولها وآخرها)).⁷⁰ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾⁷¹ . ((الأمة كالمطر لا يدري أولها خير أم وسطها أم آخرها)).⁷² إشارة ربانية نبوية فالعلماء أهل الأبحاث اللفظية إذا سمعوا مثلاً القرويين يفهمون أنه اسم جامع كبير بفاس وفاس مثلاً مدينة كبيرة معدن العلم والولاية والخيرات والصلاح فلم يشاهدوا فاساً مثلاً فضلاً عن الجامع فضلاً عن الاستيعاب

⁶⁸ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (4) سورة الجمعة

⁶⁹ قل للمحاول شأوا في مدائحه * هي المواهب لم أشدد لها زيم ولا تقبل لي بماذا نلت جيدها * فما يقال لفضل الله ذا بكم آيات من قصيدة البردة للبوصيري رحمه الله تعالى.

⁷⁰ الراوي: عروة بن رويم اللخمي | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 4078.

⁷¹ (40) سورة الواقعة

⁷² الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن عبد البر | المصدر: التمهيد | الصفحة أو الرقم:

والاستيفاء ومثال القرآن أيضاً من وقعت له واقعة كواقعة الصيف ضيقت اللبن⁷³ فإذا سمعه من عرف أصل التسمية والمثل عرف مضمّن القضية بلا تأمل ولا تعلم وإذا سمعه من لا دراية له بأصله يفهم ظاهر اللفظ ولا ذوق له فيتكلف ضم التاء أو فتحها بحسب الصناعة النحوية ويقع التنازع بين العلماء مثلاً كل واحد يقرر مذهبه وكل مذهب صحيح باعتبار قواعده ولذا كل قول صحيح فإذا فسره عارف بأصل الوضع تبين فساد فهمهم ووجب عليهم تخطية مذاهبهم والرجوع إلى أن المثل لا يتغير عن أصل وضعه فيذوقون سره وفهمه فكل نازلة تجاذبت فيها أقوال العلماء مثل ما قلناه وهو دليل على عدم ذوقهم جميعاً سرها فلا يذوقهم سرها إلا العارف بأصل المخدع وبباطنه فهم

⁷³ يقال إن سيدة تزوجت من رجل غني، ولكن كلما تقدم السن بزوجها كان يزداد شحاً، وكانت تختلف معه كثيراً لهذا السبب، حتى تطلقا، وكان وقت الطلاق في شهور الشتاء، ومن المعروف أن شهور الشتاء تزدهر فيها المراعي ويكثر فيها الخير، وتدر الماشية الحليب بكثرة. بعد الطلاق تزوجت المرأة من شاب صغير السن وجميل المظهر، ولكنه لم يكن ثرياً، وحين أتى الصيف احتاجت السيدة إلى الحليب، ولم يكن الحليب موجود لدى أحد في مكان إقامتها إلا لدى زوجها السابق، فأرسلت إليه تزجوه من أجل بعض الحليب، فصاح بها قائلاً: في الصيف ضيقت اللبن. من أمثال العرب.

يطوفون عن خارج الحجرة والعارف يبين باطن المخدع لكن
آراؤهم صحيحة بحسب قواعد مذاهبهم واجتهادهم بقصد نفع
العبيد فقواعدهم صحيحة سالمة كلها من الزيغ وإنما أخطئوا في
أن المثل لا يتغير مثلاً فلما قرر العارف أصله صمموا عليه
وطبقوا عليه قواعدهم على الحقيقة وعليه فلا يستنكف أحد إذا
وجد أحداً أعلم منه من أن يتجرد من علمه ويتبع علمه الصحيح
المطابق للواقع ويطبق عليه قواعد العلماء فإنه لا يخرج عن
الضوابط العلمية فافهم فإنه نفيس ولا تجده مكتوباً مما علمناه
وعليه فهذا الكتاب الغريب الجامع المانع لأنه مركب بأيدي القدم
إنما يدل على تمييز الذاتين فعند الصلاة يجب عليه نظراً أن
يجمع بينهما فيها فالترابية للألفاظ والخشوع والروحانية للحضور
والتأمل والتذلل والتفاني والاستغراق والأدب فعلامته قبول
العمل الأدب فيه والأدب الحضور فيه من وظائف الباطن
وعلامته قبول العبد الأدب والأدب تجرده مما سواه من عمله
ومن غيره ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ

فَضِّلِ اللَّهَ ﴿٧٤﴾ أي فلتفترق الترابية والروحانية فتتوجه الترابية
للأسباب العادية الترابية المناسبة لها والروحانية للأسباب
العادية المناسبة لها من كتأمل والتفكر والتعقل والتحمل والتمهر
والتغلغل في بحار الحقائق الربانية مع اعتقادها أن لا تأثير لكل
سبب بل إنما أمرنا الله بها فامتثلنا لا غير ولا حظ لنا فيها إلا
مراعاة الأمر الإلهي فإذا تفرقا للأسباب فلتعلم أن الترابية أمانة
عند الروحانية مركبة من ستة وثلاثين جزءاً مثلاً فترك جزءاً
للترابية ليتميز به كيفية الأسباب لأن التمييز من وظائف الباطن
لا الظاهر فاعلم فمن ترك منهما سببه عصي أمر مولاه ومن
اتكل كفر فإذا وجه الذاتين لأسبابهما بحيث لا تشوش الروح
الباطنية على الترابية ولا العكس حصلت على كثر الامتثال
لكتاب الله ثم المخاطب حقيقة الباطنية والترابية تبعاً لها في
التكليف فإذا ثبتت الباطنية التي هي العقل في العرف وجب
التكليف الشرعي بطاقة الترابية من قيام مثلاً وركوع وسجود

وجلوس واضطجاع على أيمن ثم أيسر ثم ظهر ثم بطن إيماء
والمقصود امتثال الباطن والظاهر بطاقته وإذا عدم العقل فقد
التكليف وإن صح الظاهر فوظائف الظاهر امتثال الأوامر
والتعرض للأرزاق بالأسباب الحلالية التي أذن فيها الله ولا
يأذن الله إلا فيما فيه مصلحتك وعدم إذابتك لنفسك ولغيرك
وهذه الحكمة مقررة في سياسة كتاب الله لتعيش في الدنيا
والآخرة منعماً فإن آذيت نفسك وغيرك يربك الله بما ذكره الله
في كتابه ثم إن الأسباب الحسنة هي التي كانت في الطريقة
الأولى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلاحه
وتجارة بشروطها وحرفة بشروطها وما أحدث بعدهم من
التعرض للأرزاق باستخدام الأسماء في عرفهم والروحانيين
يأهلاهم وقتل ملوكهم بإحراقهم بأنوار الأسماء الجلالية على
كيفية معلومة عندهم وكأخذ الأجرة على تناول مثل الكتف
فينظر فيها فيريه الشيطان صوراً شيطانية تدل على المغيبات
من موت أمير وغيره كالخط لرجم الغيب من نحو الزناتي
وكرجم الغيب بالرمل وعلم النجوم عندهم وكرجم الغيب بمثل

قرعة الأنبياء عندهم وقرعة الطيور وكاستعمال أسماء البركة
وكتغيير سكة الأمير كحرق مثل نحاس حتى يصير مثل فضة
فيعيش بها فضة وكتثيف للجنين والولادة وإفساده ورميه
وكتفريق بين الأحبة وكتجمع بين الزناة وكتضمائر والخط
وكل ما لم تأذن فيه حقيقة الشريعة فكل ذلك ضلال مبين لا
شك في ضلال صاحبه لتلبسه بمثل الكفر وذلك كله عمل
الكفر بل فعل الأعمار من العاجزين القاصرين الأفهام. فالحلال
بيّن والحرام بيّن والمتشابه بينهما يجتنبه من حفظه الله بالورع
ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فإذا دار له الفلك
بغلة سببه فليأكل .⁷⁵ بكيفية الشارع صلى الله عليه وسلم
وليسبق .⁷⁶ بنفسه ثم بعياله ثم بأقاربه ثم بالإفاضة على جيرانه
(ابدأ بمن تعول).⁷⁷ ابدأ بنفسك ثم بمن تعول في جميع

⁷⁵ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فليأكل".

⁷⁶ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فليسبق".

⁷⁷ الراوي: أبو هريرة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم:

الأمر حتى في الدعاء عليك بالاقتصاد في المعيشة بحيث لا تبذر نعم الله في معاصيه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾⁷⁸ . قسم من الله بنفسه أن من شكر نعمه ليزيد له نعماً على نعم وشكر النعمة إنفاقها في طاعة الله وملاحظة سراية سيادة المنعم فيها حال التلبس بها ثم إنك لا تخلو عنها نفساً لأنك نعمة بنفسك وأعظم النعم الحقيقية نعمة الإيجاد والإمداد ونعمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الشيخ المربي ثم المعلم ثم الأب ثم الأم ثم الوسائط بينك وبين النعم كالبائع لك مثلاً والمزوج لك والواهب والصانع والتاجر وكل من باشر نعمك حتى وصلتك كالملائكة فاعلم أن الملائكة يتصرف منهم في حبة واحدة من الحب أياً كان ثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً فإنك تأكل عدداً من الحبوب في كل يوم ولا بد منه وأنت تدعي الزهد من الدنيا وأنت فيها وفوقها وتميل إليها وإنما الزهد تعلق القلب بالله تعليقاً كلياً مع تعظيم نعمه الواصلة لك بالترحاب والتشريف باعتقاد أنها مهداة

⁷⁸ (7) سورة إبراهيم.

لك من السيد جل جلاله وأنت عبد يهدي لك سيدك ما أعظمها نعمة والشكر الحقيقي امتلاء القلب بما عند الله لا بما عندك من الخزائن لكنه على هذا من وظائف الباطن ونحن في وظائف الظاهر والشكر عليه صرف نعم الله ظاهرة وباطنة فيما أمرت به من الطاعة وطي الآية وعزتي وجلالي لئن لم تشكروا نعمي لأزعنّ منكم نعمي ولأحرمنكم من المزيد فالصلاة منا شكر جميع نعم الله المتعلقة ببدنه وقس عليه ولنحو هذا يدل كتاب الله فيما يتعلق بالظاهر وفيما يتعلق بالذات الترابية ظهرت الملوك والقضاة وأهل الخطط الدينية وظهرت المجتهدون ودونت الكتب الغير المحصورة من أحكام المعاملات بين العباد وهو سر اسمه جل علاه الظاهر فمضى كل زمان من زمان الهجرة 1339 فلم توضح علماء كل زمان من وظائف الذات الترابية إلا النزر القليل فافهم ويجب على الإنسان الكامل اللبيب لأن الخطاب مع أولي الألباب في كتاب الله أن يوجه ذاته الروحانية الباطنية إلى أسباب معاشها العادية باعتقاد أن السبب لا تأثير له إنما هو علامة الله لا غير بحيث

يتجرد من كل سبب بقلبه ويجرد نتيجه من قلبه متوكلا على ما عند سيده لأنه ملك له وسببه كذلك وعلامة التوكل أن يزن الإنسان نفسه فإن وجد نفسه واثقة بما عنده من الأموال والأموال فليعلم .⁷⁹ أنه عابد لهواه وإن وجد نفسه واثقة بما عند سيده مع قطع النظر عما بيده بحيث لا ينسبه لنفسه بل لسيده وقلبه مفرغ من هموم المعاش لأن عبد الغني لا يهتم عادة العقلاء بأمر الرزق والعبد غني بسيده لا تصح فيه الصدقة ولذا يحرم العارف والشريف الصدقة على نفسه باعتبار أنها من الخلق وأما إن رأياها من الحق فهدية حلال وجب قبولها وتناولها ولا يحل له أن يعطيها للغير إلا بإذن سيده ولا أن يزهدها فيها قطعاً ((لا غنى لي عن بركتك يا رب)).⁸⁰ فهو متوكل ولذا أمسك البعض من الأولياء عن الإعطاء إعطاء

⁷⁹ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "فاليعلم".

⁸⁰ قال ﷺ: ((بينما أيوب يغتسلُ غريانا، خرَّ عليه رجلٌ جرادٍ من ذهبٍ، فجعل يَحِثِّي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوبُ، ألم أكنُ أغنيك عمَّا ترى، قال: بلى يا ربِّ، ولكن لا غنى لي عن بركتك)).

الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 3391.

المال والجاه والأسرار منعه تعظيم النعمة عنده لأنه خص بها في
حضرة الحق بعدم الإذن في المعاملة بها فإن أذن عامل بنفسه
وروحه وماله وخزائنه فافهم على أن ما ذكرناه هنا من وظائف
الظاهر ويصح أن يكون من وظائف الباطن باعتبار الرزق فهو
على قسمين حسي للحسي للترايبية ومعنوي كالعلوم للروحانية
فلا تسمى الروح متوكله حتى تتجرد من هم رزقها وهو العلم
والمعرفة فالذي يجب توجيه الروح للأسباب من تأمل وتفكر
فإنه عين طريق المعرفة بالله ولا عليه في غلة الأسباب لأن
الاهتمام بغلة الأسباب من علامة القطع عن المولى فتسبب ولا
عليك في الغلة فتعلم ولا عليك في العلم وتعرف ولا عليك في
المعرفة وتفقه ولا عليك في الفقه وتربح ولا عليك في الربح فإن
الغلة من وظائف السيادة واشتغل بوظائفك التي هي الأسباب
واترك منازعة سيديك في إرادته وهي المكنى عنها بالوظائف
الحقية فإنه سبق في علمه أن كل من عمل عملاً متقناً يدور له
الفلك بسهمه وإن لم يعمل أو عمل غير متقن فلا حظ له في
الفلك وصمم على ما عند سيديك في الأسباب كلها فإن الاتكال

على الأسباب كفر أي جحود حيث نسب الرزق الإلهي لغيره من الأسباب وهو عدم شكر النعم المعرض لزوالها فإذا وجهت ذاتك الباطنية الروح إلى أسبابها معولاً على الله لا عليها بل استندت إلى القسم الإلهي الأزلي معرضاً عن المعرفة وعن العلم وعن كل نتيجة الأسباب ناوياً حين التلبس بها امتثال الأوامر الإلهية لا غير وهو قوله جل علاه ﴿فَانشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.⁸¹ بالأسباب التي جعلها عادة على توصيل أرزاق عبيده تغميضاً لأعينهم عن رؤية سر القدر الإلهي وترتيباً لملكه أنه جل جلاله متوقف على الأسباب فالأسباب في الحقيقة مثالها مثال ملك عظيم الخزائن والجنود أمر جنوده بأن من أراد رزقه فليمش إلى موضع مهيب للقسم فمن مشى له امثل ويلاقي برزقه على يدي وسائطه ومن استنكف عن المشي أو عجز كسلاً يأتيه رزقه على يدي وسائطه في حضرة الملك وهو عاص ومخالف ومتهاون ومتعب وسائطه في حضرة

⁸¹ (10) سورة الجمعة.

المالك بالحمل وعتاب الملك الوسائط على عدم حضور
موسوطهم ويقول لهم أنتم غير معتنين بأمر الرعية ولا بأمر
الملك واعلم أن المكلف بمئونة بعض الرعية تدفع مئونة السيد
على يده يحضر لدى الملك دائماً عند التفريق للأرزاق فيكلفه
بسرده رعيته جبراً منه فإن تغيب واحد أو غاب أو أسقط يقل
له الملك أين فلان المقيد في كناشك وكناشنا وتدفع له في كل
صباح مئونته فإن كان لعذر شرعي يجاوبه بأنه غاب عن مصلحة
الجنود مثلاً ووجهه أحمر بين يدي سيده وإن كان بلا عذر
بل بتفريط يسكت ووجهه أصفر من شدة الحياء والخوف من
التعذيب أو العزل من سيده ومنه يدخل الضرر على تارك
الأسباب وهو تارك الحضور مثلاً ويتضرر المكلف به غاية
لمقام الأدب فيقول له المالك أنت مقصر ومفرط في خدمتنا
فكانك لم ترد خدمتنا وأهملت حق الخدمة فلو خدمت بنية
ظاهراً وباطناً لاشتغلت بأمر التنظيم والتأديب فلا يتخلف عن
أمرنا أحد لكن لما ظهر لك غير أمرنا فرطت في الرعية
والتقصير في أمر الرعية ليس بهين عندنا وأنب إلينا نتب عنك

إما أنك مقصر أو غافل عن السياسة أو جاهل أمرها فكلها لا يصلح لنا ولا نصلح له فافهم وبه تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يحبون من ترك الأسباب العادية مما يتعلق بالظاهر والباطن ولا من عول عليها لأنه شرك صراح حيث اعتمد على غير الله وهو هلاك الأسباب فتجد العارف إذا اشتكى إليه أمر الرزق يأمره بالأسباب وكان صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالإبل والبقر مثلاً والخيل ويأمر الضعفاء بالدجاج مثلاً وحرف يقدرون عليها ولا يترك أحداً يجلس بلا تسبب فهذا هو الشيخ الكامل بحوزة حياة التربية فإذا ترك ظاهره الأسباب فقد عصى ظاهره وتمجه الطباع الظواهر بحيث لا يحبه كل من كان ملتبساً بالأسباب وتكرهه الوسائط الروحانية الملكية ويكرهه الملك ورزقه الممكنش في كتاب الملك من كتاب الوسائط يأتيه وإتيان الرزق بلا سبب هو المهلك لكثير من الجاهلين فزين لهم شيطانهم ترك الأسباب

بمجيء الأرزاق .⁸² بلا سبب مكرراً منه لأن يعرضه لشبكة
المقت من الله وأوليائه فلتفق من سكر غفلتك وكذلك زين
للغافلين التعرض للأرزاق بلا سبب مصوراً له الحقائق المجردة
من الشرائع فيبقى في مهواة العطب لأن الحقيقة بلا شريعة في
حيز المحال بحسبنا وأما باعتبار الحق فهو مطلق غير مقيد
بجائز ولا بواجب ولا بمحال فالمقيد بها أنت لا هو جل وعلا
فالله لا يتقيد بقيد تعرفه قيماً ولا بإطلاق تعرفه إطلاقاً
بإطلاقيته جل وعلا رمزاً لما عنده ولا يعرفه إلا هو وكذا كل
لفظ يشير له إنما هو رمز يشار له بالألسنة وكل معنى في
قالب الألفاظ فإنما هو رمز لا غير وكل ما تدركه الذات الترابية
والباطنية من كل خلق سوى الخليفة .⁸³ الأعظم سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم فهو رمز حادث لحضرة السيادة لا غير
وعليه فحضرة الحق مطلقة فلا يمكن تغييرها وحضرة الخلق
مقيدة دائماً بقيود الله وكل ما برز من حضرة المطلق مطلق

⁸² وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الأرزق".

⁸³ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "الخلفية".

فلا يقيده مخلوق بأفهامه وخياله فما سوى الله خيال فالخطاب منه إذا توجه عاماً يبقى على عمومته ولو قيده المجتهدون فليس من طوقهم بل يطلق لحضرة المخاطبين من العارفين ومن السالكين المريرين أو من الغافلين عن المعرفة والإرادة فيوجه خطاب الشارع إلى كل موقف من مواقف المسلمين والمومنين والمحسنين فيقيد بصنف دون صنف منهم فالخطاب مطلق في بابه والمقيد هو المخاطب لا غير فيخفي على الأكارب الأجلة الأعلام لزوم .⁸⁴ تطبيق كل خطاب على كل الأصناف فيتجبر المجتهد وتضطرب أقواله فيكون تطبيق إمام واحد منهم عدد من الأقوال في نازلة واحدة لملاحظة أنوار الخطاب الإلهي من وراء الحجاب تارة ويأخذ بمقتضى ما شاهده بقوة بصيرته فإذا تلون له النور بجهة أخرى يترك مذهبه ويأخذ بمذهبه أيضاً بسبب التلوين وله في الخطاب الإلهي مقام باعتناء تبين ما ظهر له من ألوان الأنوار الخطائية وهو مصيب في قوله القديم

⁸⁴ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "لروم".

والحادث مثلاً ويجوز العمل بجميع ما أدّاه له اجتهاده ولا يقلد وجوباً غيره بل يأخذ بمقتضى تلوين الخطاب الإلهي وهو سبب الاختلاف ومقصودهم خدمة الشريعة ولذا لا يستنكفون من الرجوع بعد الحكم والتصميم عليه لأنهم ما ولاهم الله وأخذهم في أدوار خطابه إلا ليكرمهم ويكرم بهم عبيده وعليه فللمجتهدين مقامات الولاية والتصريف والتربية لكن العارف إذا توجه للخطاب الشرعي عرف أن الخطاب من حيث هو قديم مطلق بإطلاقه جل وعلا ويفهمه مطلقاً في صنفه الذي نزل الخطاب له وهكذا في كل خطاب لأن كل خطاب موجه إلى جنس من الخلق يعرفه من شربه ويجهله من غفل عنه ولا يتكلف التطبيق على سائر الأجناس لأنه لم ينزل لذلك وإن كان خطاب الله من حيث هو مقصود المعنى واحداً وهو الدلالة على الله لكنه يصرف إليه كل جنس في غابته ما يناسب غابته من الصواعق والإرهاب والإحباب والإحراق والوعد والوعيد وتكون الصواعق مصحوبة بسياسة صاحب الشريعة من الرمي في الغيضة جملة أو على واحد معين أو على طائفة من الأرباب

مثلاً مما يزعجها ويردها بعد توحشها إلى حضرة سياسة صاحب الغابة والأرانب يناسبها من الخطاب ما يشوقها ويزعجها لا غير والأسد مثلاً يناسبه .⁸⁵ الصواعق العظام لعظم أمره فلا يتربى ولا يآلف إلا بعد مشقة صاحب الشريعة لقوته وتقذيفه بنفسه من غير مبالاة على المتحيل لتأليفه حتى يصير متأنساً به أن يبالغ في السياسة لأنه لا تأخذه الأحوال ولا يقنص غالباً إلا بأكبر الحيل مع الصبر على حرارة شهامته والتيقظ التام في أمره فيرى من كلفه الأمير به أمراً عظيماً في شأنه ولا يدخل في شبكة الاقتناص إلا بالسياسة والإتعا ب والإحاطة به من كل وجه فلا ينفع فيه خطاب واحد بل يوسع الأمير الدائرة لمن كلفه في أمر السياسة والاجتهاد ويجتهد لنفسه بخيله ورجله .⁸⁶ حتى يأخذه فإذا أخذه منعه من الخروج في حيطته

⁸⁵ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "يناسه".

⁸⁶ ﴿وَاسْتَنْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُزُورًا﴾ (64) سورة الإسراء. ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال

السياسية ولا تنفع فيه كل حيلة من خوف أولا ثم قرب ثم بعد
ثم قرب كذلك ثم تمنية ثم تسمح ثم تعظيم ثم تأكل ثم تقييد
بالكلية ثم رياضة ثم فراسة ثم انتفاع به ونفع بكاصطياد مثلا
فالذي يناسبه من أمر الله العزائم والتضييق به والتشديد والذي
يناسب الأرنب مثلا ومن دونه أو مائله الرخص بحيث تضره
العزائم والتشديد والأسد مثلا ومن مائله في غابته ومن فوقه
من الجسارة تضره الرخص وتهلكه ولا تملكه بأنواع حيلها
لشدة بأسه ((إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى
عزائمه)).⁸⁷ فالرخص عبادة الضعفاء من الناس وربما ينفروهم
بالعزائم الغير المستدامة والقدر المضر منها الاستمرار عليها
فمثل الملك بحسب ما ينفعنا وندركه ولله المثل الأعلى حضرة
الحق جل وعلا ومثال المكلف بالغياب الصيدية المصطفى

إبليس، والرجل: جمع راجل، كما التجر: جمع تاجر، والصحب: جمع صاحب. تفسير
الطبري.

⁸⁷ الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الطبراني | المصدر: المعجم الأوسط | الصفحة

صلى الله عليه وسلم وقد صلى عليه في أزه صلاة قديمة مستمرة الدوام ومثال الغابة المخالفات والنفور من حضرة الحق ومثال الأرنب الضعفاء الذين نفروا ولا ضرر فيهم وقس عليه من دونها وما فوقها فإن لكل مقام مقالاً يخصه ومثال السبع المريدون الوصول لحضرة الحق أو لحضرة الدنيا أو لحضرة الجنة فإن المرید يتحیل على إرادته ويقاقل عليها بكلية يقظة ومناماً في سائر عمره ولا يقبل التوبة لأنه يعدّ نفسه من المجتهدين في طاعة الله وربما يجتهد فلم يظهر له أثر مقصوده من الإرادة لعظم حجاب الإرادة فينفتل في الطريق ويحل يده من العقدة فتسل مع الشريعة لورائه أو يسقط بالمرّة فتكسر أركانه وأجزاؤه ولا يرجى برءه طول المسافة أو قربها وتوسطها فمن انسل قابضاً على الشريعة لورائه يبقى صائناً الأركان غالباً لكنه فاته المقصود والساقط في أول الطريق تدعدع أركانه بلا تفريق ولا تكسير وفي وسطها ينشق وتنفك أجزاءه بلا تكسير ويرجى برءه وعوده ثانياً مثلاً وفي آخر الطريق تنكسر أجزاءه وتنفل بسيوف قواه بحيث لا يعود في الغالب لشدة ما رأى

فالمريد مثال الذيب في ظاهر المعاني لا صوف ولا حليب ولا لحم ولا جلد إلا عند من يرى حليته بلا كراهة من مذهب جنسه فهو عنده ترياق لأمرض الكلى والحمى والكبد مثلاً ولكل مقام مقال والمجرد وهو العامي أو العارف مثال النعجة كلها خير عند سائر الأجناس والملل فكلها خير لأن العامي المعترف بالتقصير والذل والضعف المسرف على نفسه بهواه مع عدم الرضى على النفس خير من مريد مجتهد فمقامه قريب من العارف والأخوة بينهما في التجريد وعدم القصد وإنما الفرق بينهما أن العارف مشاهد ممثّل والعامي ضده لا غير لكن حجاب رقيق ولذلك قرب معناه للحضرة الإلهية فإن تعبد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بلا مرب تظهر له روائح القرب بأقرب مدة مع عدم نية ذلك ولم يعبد الله بأعظم من العبادة على وجه الإحسان ثم على وجه العامية ولا يبعد عن حضرة الحق مثل الإرادة لأنها حظ عظيم أمره ومنهم ﴿مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ

اَثَقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴿٨٨﴾ والخير الذي يصيبه فضل الله وإدراكه بالتجريد في وسط الإرادة والفتنة التي تصيبه تحصيله على غرضه الذي تعرض له فإنه لا يرجى برؤه لاستحلائه ذلك بوصوله بعبادته وهو عمله الممتن لكن لغرض نفسه لا لعبادة ربه فهو يعبد به وإن كان الحق قريباً من كل أحد فالعبد هذا إنما يرى ظله فقط ولا يرى نور ربه فيه. فمثال أهل الطريقة الأولى مع الثانية كمثل شخص في وسط بيت مبني بنحاس بلا باب ثم بحديد ثم برصاص ثم بأدوار الأبنية إلى أن تصل إلى الزجاج ثم البلور ثم ما هو أرق منه حتى تصل مثل الهباء المجموع فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضوا بذلك السجن وقنطوا بما دهمهم من الظلام ولم يصل إليهم نور الشمس مثلاً وطلبوا السراح والانفكاك من قفصهم الذي لا باب له ولا منفذ وقد دار به مائة ألف حائط من مختلف الماهية وكل دائر غلظه سبعون عاماً بحسب المسافة الغليظة

والبيت مبني في وسط الشمس وحرارة الشمس تصله على وجه لا يدريه فأما أهل الطريقة الثانية فإنهم لم يرضوا بقدر الله لضيق وظلام ما هم عليه فاستغاثوا بمن يعيئهم بهدم الحوائط السورية فبين لهم المربي الذي احترموه به آلة قوية أنصالحها للهدم بقوة واجتهاد وذكر قوي لإزالة السور الأول النحاس مثلاً فاشتغل في معظم عمره بالإزالة فإذا هدمه يبين له مرييه آلة أخرى من الأذكار مثلاً وسلوك آخر ويحرضه على الاجتهاد وأنه إن ملّ لا يحصل على شيء وهكذا حتى يقطع الحجب الغليظة النفسية فإذا وصل إلى الرقيقة تبين له لوائح الأنوار من وراء الحجب العلمية فإذا شم روائح القرب وشم ما كان عليه أولاً في وسط السلوك يشم منه رائحة كريهة فيستقذره ويهرب من نفسه ومن حاله ومن عمله فينقبض انقباضاً كلياً ويرجع إلى مرييه ويسأله عن الرائحة الكريهة وعن الطيبة فيقررهما له أتم تقرير فيستقدر ما كان عليه من سلوك ويحصل له الإعياء الفادح فيمسك عن العمل بتبيين خلاف قصده فإذا رآه مرييه قنع من الإرادة ومن السلوك ومن عمله ومن نفسه يقول الآن قد علمت

أن الله قد أراد بك السعادة الأبدية حيث تركت جميع العلائق ورجعت إلى ربك ثم عليه اعلم أن ما كنت عليه من إزالة الأسوار ليس عبادة وإنما هو غرض من الأغراض ولا غرض مع الله ثم يجب عليك أن تتجرد مما سوى الله بحيث ترضى بقدره وتتجرد من المراتب العلمية والعملية والعرفانية وتعول على قسمة ربك بحيث تعلم أنه يستحيل أن يزيدك أو ينقصك عما كتبه بيده في كتابه أم الكتاب أي أصل الكنانيش التقديرية التصريفية الولائية فإذا وفقه الله للتجريد على حسب نصيحة المربي الحاضن الكافل له لأنه في حجره انقضت عنه كل حجاب قهراً بلا تعمل في الباقي له فيصبح في الشمس الضاحية فيتمتع بأنوارها ويعطى له السراح والتسريح يذهب حيث أحب ويرشد ترشيداً من ثقاف الحجر فإذا علمته علمت أنه سافر أولاً وخدم وعبد واجتهد لحظ نفسه يخرج من ظلام الحجاب وهو غير عبادة وإنما قام بنفسه لنفسه وليس من اجتهاده وعلمه رائحة أدب لأنك رأيت له لم تنخرق له الحجب حتى عيبي وألقى السلاح وأدركته بركة مربيه وعلمه كيفية التعبد فلما تعبد من

غير غرض أدركته عناية الله بلا سبب ولا تعمّل فهجمه الفتح الرباني فهذا كبير الطريقة الثانية ما نفعه اجتهاده لكن بركة تعظيم أمر مرييه خلصته من المهالك الحظية هذا فمنهم من يجتهد بخرق الحجاب الأول فتبين له بريق الحجاب الثاني واتسع عليه الأمر فاستحلّاه وبقي فيه وهو مسجون بالحجاب ويعتقد أنه وصل الزيادة في حاله فيزيّن له الشيطان مقامه ويهويه على أم دماغه ومنهم من بقي مع الثاني إلى آخر الحجب فكلما بقي مع حجاب يظهر له خلاف ما قبله من الحسن فيهلكه بزخاريفه فيجد إبليس فيه مقصوده ويستعظم أمره حتى يهلكه وكفاه هلاكاً البقاء مع غير ربه ثم إنه ربما يزيد عدوه ألا يقبل نصيحة ناصح ولو من مرييه وهو عين الهلاك فإذا قال المنصوح لناصره انصح نفسك مثلاً ومثلك ينصحنى أو لمثلى يقال هذا وأنا عالم عابد مثلاً فاقطع بأنه سقط من عين الله وإن مات قبل التجريد مات على غير إحسان فأنت تراه لم ينهض أولاً لله ولا بالله ولا في الله ولا على الله وإنما حركه غرض نفسه لا غير فالمربي مقصوده الإرشاد بالتدريج لغلظ حجه وهو إن كان كاملاً

محمدي حقيقي بحسب الإخلاص والإحسان وأما أهل الأولى لما علموا بالسجن استشاروا أول مرة مع رجل محمدي في أمرهم فأرشدتهم أولاً للتجريد مما سوى الله والرضى بقدر الله وبين لهم أن لكل شيء قدراً وأجلاً في علم الله ويثبتهم على حب الحجاب الإلهي ويزينها لهم لأنها مراد الله وكل ما أراد الله محبوب يبصرهم أول مرة وسألوه عن أهل الثانية فاستقذر لهم ما هم عليه للاجتهاد للحظوظ النفسية وبين لهم ما فيها من الدسائس النفسية لأن الشيطان إنما يتقوى بالنفس فيثبتهم على مراد الله فيهم وأمرهم بإخراج الدنيا والآخرة والبرزخ وكل مرتبة ولائية في قلوبهم فاستحكموه على أنفسهم لظهور نور كلامه لكل عاقل وحكموه على أنفسهم وشرط أن لا يلتفتوا .⁸⁹ عن حضرته ولا يخطر خاطر فيهم إلا ويفشونه له فجعلهم في حياطته وتحت جناحه وطار بهم لمدينة الإخلاص واستقذره لهم فكل ما شاهدوه من المدن الولائية نفرهم عنه فبقوا في

⁸⁹ وردت في الطبعة الأولى بدرج غلف بصيغة "يلتفتوا عن".

وسط القبض فلما رضوا وقوي نورهم بالإخلاص انهدمت الحجب في نفس واحد واحترقت بنور إيمانهم الكامل فظهرت لهم ضاحية الشمس فاشتغلوا بأنوارها وجمالها وهي عالية قاهرة لعين كل أحد بحيث لا يقدر أحد أن يحقق بصره فيها أبداً لسطوة حرارتها وقهر حسنها فلما عاينوا ما عاينوا رجعوا إلى شيخهم ويختبرونه أمر الحال الوقتي فدلهم على ملازمة العبودية وبركتها كان ما كان من غير تعريج على شيء زائد عن العبودية لحضرة السيادة فعبدوا الله حق عبادته بتعلقهم بالربوبية فتمكنوا ثم إنهم وصلوا كلهم لحضرة الشمس بلا سبب وعليه فكلهم كاملون بحيث لم يبق فيهم من تخلف مع المقامات ولا من رضي بأمر نفسه ولم يهلك فيهم أحد فأيس الشيطان منهم في أول أمرهم وبعد نهايتهم لأنهم عمريون فإنه لا يجد نجاسته معهم من الحظوظ فسعدت الطائفة كلها أولها ووسطها ونهايتها بحيث لو اجتمعت عبادة أهل الثانية قبل التجريد ما وزنت قدر ذرة واحدة من نفس واحد من أهل الأولى لأنهم قاموا بالله لله في الله مع الله فنورهم قهر ظلام الشياطين والمراتب

فتخلصوا لسيدهم فهم المخلصون ﴿وَتِلْكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾⁹⁰ .
مخصوصون بالعبادة هذا فمثل الشمس حضرة الحق وله المثل
الأعلى فكلامنا وأمثالنا وعلما وأفهامنا ودليلنا حادث محض لا
شك فيه وإنما رمزنا فيه للعقلاء لا غير فيكفي أولي الأبواب
ومىء بحاجب ومثل الحجب المائة ألفاً مثال حظوظ النفس
التي لا تحب إلا أن تلبس رداء سيدها ومثال آلة الهدم أذكار
مخصوصة لإزالة الحجب في كتب القوم كشمس المعارف
وغيره وبه تعلم فضل الطريقة المحمدية فالخير كله في الاتباع
والشر كله في الابتداع ولم يخلق الله طيباً أعلم ولا أحق
ولا أحن ولا أعرف ولا أنفع ولا أعظم سياسة من سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فهمه المحمديون بالأصالة
وخفي عن المحمديين بعد السلوك فالمحمديون بالأصالة لم
يصدر منهم اجتهاد لقطع الحجب فإنهم يربون بسر أصلهم لأنهم
استقدروا أن يدلوا على غير الله ولو على وجه السياسة لأن ما

⁹⁰ (40) سورة الواقعة.

لم يرضوه لأنفسهم لا يرضونه لغيرهم نفساً واحداً فضلاً عن السلوك في مدة فلعله يهلك في الطريق فيموت على غير طلب الله فيعدون ذلك من أكبر الخيانة وإنما المحمديون بعد السلوك ظهر لهم أن لا تصل الناس ولا ترجع إلا بمثل ما سلكوا له فدلوا على مثل سلوكهم فنتج البعض وهلك الجل والعهدة عليهم لكنهم مجتهدون فلا إثم بل المجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد .⁹¹ فلما تبدل الزمان وكثرت المدعون لطريق القوم فطريق القوم هي ما كان عليه أهل الثانية وأما الأولى فلا يقال لها عرفاً طريق القوم أدباً مع صاحبها صلى الله عليه وسلم فإنه الآن صلى الله عليه وسلم اجتهد أتم اجتهاد في تحرير هذه الطريقة المحمدية فظهرت أنواره وتجلياته في قلوب أهلها واستغنوا بطلعته صلى الله عليه وسلم عن كل حسن ولذيد وعن كل مقام وحال فلم يكن فيهم أحد إلا ويرببه بنوره وربما يكشف له النقاب ويزيله معاينة اندرست مراسمها حتى

⁹¹ الراوي: أبو هريرة | المحدث: النسائي | المصدر: صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم

رجعت أهل الثانية إلى الأولى لصفاء مشربها لأنه نبوي لهذا وعليه فيجب عليك أن ترضى بحكم ربك وهو إتقان الوجهة فإذا أتقنت رحمك الله بلذيد جماله بلا قصد منك ثم أهل الأولى لم يتقدم لهم سفر ولا إرادة لأن الله هو الظاهر في ظواهرهم وفي ظواهر الأزمان والأمكنة وهو الباطن في باطنهم وفي باطن كل زمان ومكان فالسفر عليه إلى أين وإنما نظروا بنور إيمانهم فشاهد ظاهريهم من المحسوسات فعل الله فيهم ولا يتبركون إلا به ولا يأكلون أو يشربون أو يناكحون إلا محاسن نور فعله فكمل ظاهريهم بالله وشاهد باطنهم سر البواطن الإلهية بلا قصد ولا سفر ولا اجتهاد لله وإن كانوا هم المجتهدين في مرضاة ربهم ولم يبلغ أهل الثانية بجميع ما عندهم من القوة والعبادة قبل التجريد اجتهاد سوية واحدة من أهل الأولى لأنهم اجتهدوا بربهم وما كان لله لا يزنه ما كان بالنفس فافهم وعليك بما سنه صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم من الإحسان ثم اعلم أن الإسلام والإيمان والإحسان حقيقة واحدة عند أهل الأولى فيكفيه فهمه إن أسلم وانقاد بظاهره فقط فهو

منافق وإن أسلم وأذعن لقبول الأحكام فهو الإيمان في الثانية
وإن أسلم وأذعن واطمأن ونشط وفني بشكر حلاوته فهو
إحسان في الثانية وإن صدق بقلبه بوجود الله فهو مومن مسلم
في الثانية وإن آمن واطمأن بجمال سيده لذوق المعاينة فهو
مسلم مومن محسن في الثانية على مقتضى عرفهم وعليه
فحقاتها حقيقة واحدة عند العارفين لأن الدين دين واحد والملة
ملة واحدة وإنما يكون الميز بنيات الرجال لا غير والتفاوت
ليس بالدين لأنه واحد وإنما يكون بحسب ذوق السرائر ومثل
أهل الثانية التي أحدثت للسلوك مثل من زاد في مطمورة
مظلمة ضيقة قبيحة الحال فإنه يجب عليه بحسب الذوق
الإيماني أن يستغيث بمن يغيثه في الضيق لأن الله جل علاه
نصب أولياءه مثل العبيد حجاب الملك قاهر الحسن
والإحسان وعظم مناصبهم بإدخال الواردين القادمين لحضرة
الملك فتكون الخطوة بحسب قدر القادمين به الواصلين لأن
الملك يحب أن يصل كل أحد من مملكته وإنما احتجب بعظمة
ملكه ليلا يمتهن جانبه فنصب من يرشد له ومن يقطع الطرق

بفضله اختباراً لأهل دولته فلما استغاث بعض من بالمطمورة من يغيثني من هذا الضيق بنداى صريح مظهر قلق صدره بما نابه تسارعت إليه عبيد الحضرة فأنزل إليه من سبق له حبلا متيناً يستدرکه به بعد أن شرط شروطاً بعدم التراخي في الطريق وعدم الرجوع يقول فإن أحببت الطلوع إلينا ولا بد من الصبر على حرارة الجبل وحرارة فراق إخوتك فإن تراخيت بحيث لم تمكن يدك من الجبل على كيفية المتطلعين من المهواة فإنك تهلك نفسك فإذا قام بنهضة وترك الراحة وألفة إخوته في المطمورة انجذب بمغناطيس الواقف عليه مع بركة الجبل مع تمكنه من الجبل تمكناً لا يقبل الفشل ثم إن المتمسكين بالجبل على قسمين منهم من تمسك بالجبل تمسكاً قوياً فلما رآه مقابله اجتهد في أمر الطلوع ولو الموت دونه جذبه هو بقوته على سبيل الجذب والخطف بلا مشقة لقوة اجتهاده فلم يشعر حتى أوقفه شيخه على بسطة البراح فلم يحس بمشقة السفر إلا ما حصل له من الدوخة بقوة شدة الجذب فيبقى زمناً مغمي عليه ثم يفيق وهو في حضرة الشمس ويقول له ها أنت ومرادك

بلا حركة منك بل ببركتنا وبركة حسن ابتدائك لأن حسن
الابتداء يدل على حسن الانتهاء ومنهم من يقبض على الحبل
بالفشل تارة يقبضه وتارة ينسلخ عنه وهو في صورة اللاعب
والمدلي له يحضه على القبض ليسلم ويشغل بغيره فتارة
يمثل ويأخذه ويسترسل به الحبل إلى أجسام المطمورة فوق
رأس القاعدين الراضين بمقامهم وهم يضحكون عليه لفشله
ويفرون منه مخافة السقوط عليهم معتقدين أنه يسقط ولو بعد
حين وعلم المدلي أنه إن جذبه بقوة وهو لم يأخذ بجذ ينسلخ
بالكلية ويتكسر ويهلك من معه من العامة فيتحير في أمره
ويشفق عليه ولا يجد له سبيلا وليس هو من العامة أهل
السلامة ولا من المريدين أهل الجذ ولا يزال يحرضه على
التمسك وهو أيضاً في حيرة بين الخوف فيتمنى لو بقي مع
إخوته فيضحك عليه كل من رآه غير مبد له الحنين عليه فإذا
تمسك بعده بقوة وصبر لحرارة الحبل وقصر طرفه على الحبل
ومدليه وصار لا ينظر إلا إلى أمامه فوق فإنه يأخذ الحبل بكليته
بأسنان وركب وأصابع الرجلين وبجميع ما عنده وقطع النظر عن

إخوته في السفلى بحيث لا يحب الرجوع إليهم ولا يجاوبهم بل عد النظر إليهم معصية وتاب من كلامهم ومخالطتهم وصبر لأذاهم بأنواع الضحك والكلام الفحش وعلم أن الحق لهم لأنه متراخ في السلوك طلع لحضرة البسيطة والشمس ولو بعد حين فمن وصل لا يضره ما أصابه في الطريق ولو تراخى فيها ومنهم من حصل له ملل فانسل مع الحبل ولم يتكسر به بقي سالماً مع فادح المشقة ومنهم من مل فسقط على أم رأسه فهلك كل الهلاك لا يرجى برؤه وهو الكثير في طائفة المريدين وعبد الحضرة يقنع بواحد إن أوصله ولو في جميع عمره ولا عليه فيمن سقط لأنه أسقط نفسه بها فمثال حضرة الملك حضرة الله جل جلاله عما يدرك بالعقل ومثال العبد الشيخ المربي ﴿إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾⁹² . ومثال الحبل حضرة الشريعة ومثال المتمسك بنية الطلوع المرید .⁹³ ومثال الطلوع الفتح

⁹² (47) سورة سبأ.

⁹³ وردت في الطبعة الأولى بدرج غلف بصيغة "ومثال المتمسك بنية الطلوع ومثال الطلوع الفتح".

ومثال الجالسين الراضين بمقامهم العامة فهم إخوة الطريقة الأولى ومثال الضيق السجن بالحجاب ومثال الظلام ظلام قلوبهم ومحنتها وأما أهل الأولى فلما قبض لهم الحق بفضلهم بلا طلب من يدلهم عليه فصار الدال هو الطالب كطلب النبي صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام بإذن من الله وقوة منه واجتهاد وقومه في مطمورة العامية فكذلك الشيخ المربي في الأولى منزل منزلته في كونه كلفه النبي صلى الله عليه وسلم بأتمته وهو الخادم لها وهي في غفلتها ونومها فصار الشيخ عندهم يرشدهم إلى الله بمثل النبي صلى الله عليه وسلم وزين لهم تجليات الحق بحجاب أو فتح فكل ما تجلى به عليهم وجبت محبته لأنه الملك الحق وزين لهم العكوف على أعتاب العبودية بلا تأمل ولا مشقة وبين لهم أن هذا مراد الله لا محيد عنه وإنما يحب طاعة الملك في كل الأحيان وشكر نعمه ظاهرة وباطنة وأن الملك هو الذي أدرى بمصالح عباده فجردهم من الأكوان وقال لهم إن هذه المطمورة ليست قاهرة لأنوار الملك وإنما قهرت بصائرهم وأبصارهم لا غير فعن قليل إن صفت سرائرهم

وتمسكتكم بأمره ونهيه على وجه الامتثال لأمره وعلى وجه الشوق له وعلى وجه العظمة منه تشاهدونه على وجه السلوك بل يجب عقلاً وشرعاً وطبعاً الرضى بمراده فإن أرادكم يتجلى لكم في أي موضع فلم تقهره الأكوان فلما عزموا وفهموا مقتضى إشارته مصحوبة ببركة سر المربي بالله لا بنفسه معولاً على ما عند سيده من أن من أراد للمباشطة والمقابضة يحركه له فهو بين أصابعه والعبيد كلهم صائرون لحضرة نوره به بحسب علمه القديم لا بحسب ما يعقل فلما رأى الحق صفاءهم وقبول رأي شيخهم بحيث لا ينتقلون عما قرره شيخهم غرقى بسكر حلاوة كلامه لما معه من جلال وجمال الله فأزال غيراً وغيرية في قلوبهم مع الثبات لصولة حضرة الملك ومن جملة الغير المطمورة زالت بقلوبهم وزالت عن أبدانهم فبقوا في حضرة الملك منعمين مع حضرة شيخهم مقبوضين بقبضة يده مشمولين في حجر النبي صلى الله عليه وسلم والنبي في حضرة الله دائماً فينظرون بأعين النبي صلى الله عليه وسلم وبزجاجته وبقلبه وبدينه وبتوحيده وصاروا عين جزء من أجزاء شيخهم

لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بالفقير في الأولى يجب عليه أن يستحضر أنه في قبضة يد شيخه محوط بحياسة أصابعه قابضاً عليه كل القبض فلا يتركهم للإرادة تلعب بهم فضلاً عن المراد وآثاره فهو عائش عيشاً رغداً في كنفه محفوفاً برعايته بحيث لا يترك أحداً يمشي ويتردد لأهل الثانية لأنهم يفسدون بكثرة المخالطة طوياتهم أو يقع التشاجر والمراء فكل واحد يحب أن ينصر مذهب شيخه فهو عين الإدبار عن الله والركون إلى الله لنفس وهو سر منع الزيارة في الطريقة الأولى بإذن نبوي فهمه من فهمه وجهله من جهله فكل من جهل شيئاً عاداه .⁹⁴ ويد الشيخ مقبوضة عليه بقوة بحيث لو تملأت الصبيان على فتحها ما استطاعوا والصبيان عندهم أهل الثانية قبل التجريد والشيخ محوط بحياسة صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم بالفقير عليه في ثلاث حضرات حضرة القبض وحضرة الحجر والحجر وصاحبه في معاينة الله دائماً وهو

⁹⁴ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "عداه".

الظاهر في الحضرات كلها والباطن فيها فالحضرات ولايات
مختلفات الأحوال والمقامات والفوائد والأسرار بحسب ما
تقتضيه حكمة الحاكم من الله جل وعلا والفقير من حيث هو
على الحقيقة إنما هو متبع رسوم الأولى لأنه من افتقر قلبه مما
سوى الله أي تجرد من الغير والغيرية وأعظم الغير الإرادة فلا
يناسب هذا اللفظ إلا المحمديون بالأصالة أو بعد السلوك حال
التجريد فالمريد لا يناسب الطريقة الأولى وكذا كثير من
الاصطلاحات القومية محلها الثانية لا غير ولا يناسب منها أهل
الأولى إلا ما رمز إليه كبارها المربون فيما يتعلق بالفناء في
حضرة الله وبالصحو وحاله ولا يناسبها رمز المشتاقين لأنهم
غلبهم الحال وأهل الأولى غلبوا حالهم ولا ما يتعلق بالمكونات
لأنهم معرضون عنها ولا بما يتعلق بالإرادة والمريدين من أذواق
المقامات والمواقف فإنهم اصطالحوا .⁹⁵ على رموز بأذواقهم ليلا
يعرفهم داخل فيهم وأهل الأولى يستوي عندهم العاكف والبادي

⁹⁵ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "اصطلحوا".

لأنهم ما ظهروا برسوم الأسرار والولايات وإنما هم عامة صفت
بواطنهم بالله فنطقت بالله قهراً وفعلت بالله قهراً وصممت بالله
قهراً بلا قصد فإذا حركهم تحركوا من غير مراعاة سياسة الدخيل
وغيره بل كل واحد ما خلقه الله إلا لإتقان الوجهة إليه عرفه من
عرفه فأتقن بالله وجهه من جهله فمال لغيره من أنواع الإرادات
ولم يعلموا أن الله هو المرید لا غير المومن لا غير ولم يكن
مومنأ بنفسه فالله هو الفاتح باب الإیمان وهو المومن وغيره
فمن يدعي الإیمان إنما ظهر فيه سر اسمه والله هو المحسن لا
غير وكل ما ظهر بصفة الإحسان ليس هو المحسن وإنما تجلت
فيه صفة اسمه وقس عليه جميع مظاهر الأسماء فعليك
بالعكوف على أعتاب العبودة والعبودية والعبادة فإن الحق
أفصح جل جلاله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁹⁶
مشتق من العبادة والعبودية والعبودة فإن علمت ما استحسنت
الشريعة فانسبه لله أدباً وإن علمت ما استقدرته الشريعة بما

فيه من حضرتك فانسبه لنفسك أدبا وفي الحقيقة هو الظاهر هو الباطن لكن لا بد من سجايف الشريعة فإن الحقائق الثلاث حقيقة الشريعة وحقيقة الطريقة وحقيقة الحقيقة حقيقة واحدة فالحقيقة مخدع لا منفذ له إلا الحجر والحجرة لا باب لها إلا الخوخة فمثال الشريعة مثلا باب خوخة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات كل مومن كما أن حضرة النبي أم كل مومن وهو لحضرة الله جل علاه بحيث لا يدخل إلى الحجر إلا منه ولا يفتح الباب إلا بإذن صاحب الحجر لمقام الاحترام ﴿وَأُتُوا **الْبَيْوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾⁹⁷ وأبوابها الإذن من ربها فإذا رأيت باباً مسدوداً للحجر وعرفت أمك فيها أصل طورك معظمة بحجاب العز النبوي وقمت إلى الباب يفتح لمقام النبوة والشفقة والرحمة والرأفة فإذا أدخلت انتقلت إلى المخدع الذي هو البيت فيه تبقى فيها فإذا آنت لمحاسن الحجر واطمأنت بها ظهرت لك الأم المشفقة في البيت فإذا قمت فيها تجدها على

⁹⁷ (189) سورة البقرة.

منصتها مهية لمقام النبوة وهي المقصودة بالذات لا الحجرة ولا الباب فإذا كنت في البيت ظهرت لك الحجرة والخوخة والمسجد وإذا كنت بالمسجد وأردت الدخول للبيت بلا باب فهو من قبيل المحال العادي وإذا كنت في الحجرة يظهر المسجد بفتح الباب والبيت وعليه فالشريعة أم الحقيقة والطرائق فمن دخل فيها وقام بجدي يصل إلى ما بعدها من الطريقة والحقيقة وإذا كان خارجاً عن الشريعة وطلب الطريقة والحقيقة بلا شريعة فهو زندقة بنت النفاق أرذال الكفر عليك برسمة الشريعة فمن ترك منها حرفاً عوقب عليه بظلمة ما يناسبه من قبله وربما يدخل الشيطان لبعض المريدين بحيث يكرهه مجلس الفقه وهو جاهل ويحسن له الحقائق وكتبها ويستثقل كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب العلماء ويستحلي له اصطلاحات القوم والتشوق لكلامهم بلا ذوق وهو وهم فاحش فاعلم أن ما ذكره العارفون من أذواقهم ما ذكر ولا كتب ليقرأ ولا ليعرف لأنه عمره لا يعرف إلا بالفتح فكل ما توقف على الفتح فالفتح يقوم مقامه بلا اصطلاح وإنما

دونوه ترويحاً لبواطنهم وإيقاظاً لأمثالهم في التوله بذوق حضرة
الملك الحق ويفسرون ما يفسرون من السنة بالوهب لأمثالهم
له أهله لا أنهم عرضوه للعلماء بالرسوم فإنهم بمعزل عنه وعليه
فذهب الإبريز إنما وضع للكاملين من العارفين ترويحاً لهمهم
وتلذذاً لمكان بواطنهم على سبيل إذاقة الجيران وإن كان عندهم
مثله فيقبله الجار مصحوباً بالدعاء والهدية له ويعرف أن شأن
الجار أن يجيره وكل واحد منهما يفيض على صاحبه ويتساجلان
بدلاء موائد الإكرام وأما العالم والعارف فلا نسبة بينهما في
الجوار لأن العالم ظاهر بنفسه باعتقاده وإن كان يقول بلسانه
خلافه والعارف ظهر بالله فشتان ما بين أنوار الله وظلام
النفس وعليه فكلام العارف لا يعرفه العالم قطعاً إلا من جهة
صنعة علمه العربية والعربية في كلام العارف إنما هي واد من
أودية بحوره فلا يصل العالم بصنعة علمه إلا جزءاً واحداً من
أجزاء الأودية ولا مطمع له في معرفة الأودية كلها فضلاً عن
الإحاطة بقعر بحوره فافهم ولا تكن ممن اغتر بجواهر كنوز
أذواقهم فإنك لا تصلها إلا إن دخلت من باب بيوتهم بإذنهم

والعلم بالمشافهة وأفواه الرجال لا من الكتب وإنما يعرفه في الكتب من ذاقه من الرجال مشافهة ولا يطالع العارف كتب القوم بالاستفادة بل لقبول هدية إذاقة الجيران ولا تدخل إلى مخدعهم إلا بالفناء عن نفسك ((يا داوود خل نفسك وتعال)) فالعالم له مقام كبير في بابه وهو أكثر الناس تبعاً وعملاً ومؤونة لكن إن تعلق ورضي ببعض العارفين ينجذب ويزف في مدة لحظة ويصير من أهل الحقائق وإنما عظم حجابها بالعلم إن تجمد عليه أبداً ولم يتعلق بالعلماء بالله فإن كنت ذا بصيرة يغنيك كلامنا عن دلالة دليل وحكمة حكيم لأنه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾⁹⁸ فأبواب الله مفتوحة على يد صاحب الفتح الختم صاحب الجنة مهية لمن أراد الله في علمه وأقدره بقدرته وإياك من رؤية النفس في المواقف كلها وملاحظة الحظوظ في كل حال من الأحوال فإن غيم الحظوظ يحول بين المرء وبين حضرة شيخه وحضرة نبيه وحضرة ربه وهو المراد الذي

⁹⁸ (6) سورة النمل.

يشكك هل يصل إلى مقصوده أم لا فيكون صاحبه متردداً في أمر الرزق تبعاً لإبليس الذي يقول بوسوسته وإياك أن تثق بضمانة الحق جل جلاله فتركت البواطن له وهو بنفسه إنما لعنه الله بحظه معه وهو عارف مقام ربه وهو مرید قبل الطرد فلما تحير رجع إلى أصل إرادته وأهلكته من حيث أهلكت من بعده فعليك بالبعد منها فإنها كعبة شرور واستمسك بما قواك الله من الاستعانة به لا بنفسك ومن العبادة به لا بنفسك ومن الهداية به لا بنفسك ومن الثبات في الطريق به لا بنفسك كما أوجدك بقدرته لا بنفسك وكما رزقك في البطن به لا بك وكما ابتلى والديك بمحبتك ليقبلا عن أطوار طفوليتك به لا بك حتى كبرت به لا بك ووقفك للإسلام به لا بك وبعده تدعي السفر بنفسك وبقوتك فكن كالجنين في البطن تكن عارفاً وكالولد يوم الزيادة تكن عارفاً وكن كالفاس المعرض للحكم الإلهية في كونك ميتاً حياً غير مرید وإنما هو معرض للحكم تكن عارفاً فإذا عرفت نفسك بضعفها وعجزها وذليها وجميع النقائص البشرية تعرف ربك بالملك والعز والقهر وبالكمال الذاتي

فاعرف أن كل كمال لله لا حظ فيه للعبد وإذا ظهر كمال في بعض العبيد فإنما ظهر فيه كمال سيده وليس ذاتياً ومعنى قولك الحمد لله الكمال الذاتي الأصلي له وكل من عنده نوع كمال إنما هو طارئ بإفضال سيده الله لا بعمل ولا تعمّل أيّاً كان وإنما شرعت الأسباب للحجاب لا للرزق فالرزق من يد الله يأتي بلا سبب والسبب تعمّل العبد أمر ربه لا غير فكل ما ظهر مما وصله العبد بسببه لا تعمّل له فيه فإذا فهمته اتضح لك معنى نقطة الوحدة التي هي عين اتحاد الفعل والوصف فلا ترى لشيء من نفسك وغيرها عملاً وإنما ترى له استعمالاً فتقصّر نظرك على عين الوحدة فتشتغل بما أمرت به مباشرة مشاهداً فعل سيديك وشاهداً فعلك وعليه فاعلم أن الله أحد وتر وربك ملكه من شفع بحسب الظهور وربك أنت من شفع سوى أمر جامع لسراية جميع ذاتك وهو القبل والدبر وإنما أفردا لاجتماع سر البدن فيهما ولا يطيقه إلا بركة الفرد ثم إن الفرج لهذا عظيم بحيث تعظيمه لا استقداره كما يسرع للطباع إنما أمر الله بستره تعظيماً كتعظيم امرأة حسنة بوجوب تغطية

بدنها وليس في بني آدم موضع مستقذر إن اتقى الله ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁹⁹ فالخطاب سار في جميع الأجزاء
وإذا تمهد علمت أنه فتح لك عينين أمرك بإغضائهما عن
مساوئ المومن وأمرك بغضهما وجوباً عند المحرمات من
النساء الأجانب والشبان ذوي الأرداف ولو كنت ما كنت لأن
البركة مع الشريعة لأنها سبب شرعي وجب فعله وإلا يدر لك
الفلك بموافق ضده من الغضب إن لم تفعل ما أمرك به الشارع
فقد نزعت يدك من الأسباب وهو معرض للمقت فمن ترك
حرفاً من الشريعة لابد أن يظلم باطنه حتى يستلذ الظلام من
الجهل والمعاصي ثم الكفر فمأمورات الشريعة إنما هي سبب
وترك السبب معصية والاتكال عليها كفر ولا تهمل غض طرفك
عند أبواب الناس ولا في النظر جهة سطوحهم ولا عند التعليم
في المكتب فإن إزالة قشر الشريعة ليس بهيّن ثم أمرك أن
تفتح عيناً تشاهد بها فعل ربك وعيناً تشاهد بها فعل نفسك

بالمباشرة فالمزية لفعل سيدك فإن خالفت تركت السبب الذي هو عين المعصية وأزلت قشر الشريعة فإنك إن رأيت فعل ربك فقط وغلب عليك شهود فعل الله قبل الأوان فإنك أسقطت بالمالزم في حكم التكليف الذي لا يسقط لأنه حكم جرى بأن تقول مثلا عند المعصية فالفاعل هو الله ونسبته للفحش ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾¹⁰⁰ وإن رأيت فعل نفسك فقط فقد ادعيت الخروج عن ملك الله والشرك معه والضد بلزوم تعدد الفعال وليس بطريق واعلم أن الملك له أن يكلفك بالمحال مما لا طاقة لك به بأن يكلفك بحمل الجبل العظيم وحدك أو بالخروج تحت السماء مثلا وله أن يعذبك إن خالفت أمره من غير حاكم يحكم عليه لأنه المالك وله أن يقول لك افعل فإذا فعلت يعذبك عليه غير ظالم لأنه تصرف في ملكه لكنه لم يكلفك فضلا منه فإذا فهمته علمت أن

¹⁰⁰ (90) سورة النحل.

المطلوب منك الأدب في حال التلبس بالفعل وبعده ففي حال التلبس به إن كان حسناً تشاهده كله من الله وإن كان قبيحاً بمخالفة أمر الله ولا حسن إلا ما حسن الشرع ولا قبح إلا ما قبحه الشرع ولا عقل لأحد يميز به بين الحسن والقبح إلا ما اكتسب من نور الشريعة وإلا لزم عدم الاحتياج للشرائع والأنبياء ومؤاخذة غير الرسل إليهم ولم تنزل الشريعة به بل بضده وهو إرسال الأنبياء وعدم المؤاخذة قبل الإرسال وقبل تبين الحجة وكيفية الأدب فيه فهو ما وقع لبعض الملوك بأنه خص بعض عبيده بعين الإجلال تفضيلاً له على أركان أحرار دولته فسأله كبير دولته عنه لأنه خرق لعوائد الملوك فأخرج درة نفيسة فأعطاهها لوزيره وأمره بكسرها فقال المصلحة عدم الكسر لنفاستها وغيره كذلك وأعطاهها لمملوكه الملحوظ فأمره بكسرها فكسرها بالمرة وزجره سيده عن الكسر فأجاب يا سيدي ظلمت نفسي عمري لا أكسر فقال الملك للوزير فهل رأيت سبب التفضيل بل الإيثار أنك أمرتك بالكسر فعصيت وأفتيت لي رأياً أتبعه وهو مصلحة بقائها والملك لا يحب من يرد عليه

كلاماً وهذا عينه وهو سوء أدب وعصيت أمر الملك بعدم الكسر فالمعصية عين الهلاك لا سيما في حضرة الملوك وهو سوء أدب والإنسان لا يجب إلا بأدبه لا بعلمه فيترتب عليك وعلى الحاضرين غضب الملك لكنه خففه عليك غفلتك عن الأدب والغفلة من الجهل والجهل لا يصلح لحضرة الملك فلولا فضلي عليك ورحمتي لمحتك بسوء أدبك من ديوان سياسة الملك فالعبد أمرته أولاً فامتثل بأدبه حضرة الملك فزجرته غير ظالم له لأنه ملكي عن الكسر فتضرع ونسبه لنفسه لا لأمرى فلو أخرجت له بعد درة لكسرهما بالإشارة فضلاً عن التصريح لأدبه ولو زجرته عن كل واحدة لنسبه لنفسه وتضرع وهو شأن العبيد مع سيدهم فالأدب يكبر المملوك وسوء الأدب يصغر الكبير بعلمه وجاهه وماله فمثال الملك الحق جل وعلا وله المثل الأعلى ومثال العبد عبد الله مقصود الله فيه الأدب فإذا عمل حسناً نسبه لربه ولا يرى نفسه أهلاً له بل إفضال منه ولا يترصد ثواباً عنه فهذا هو الأدب وإذا عمل سيئاً نسبه لنفسه بحيث يرى عين فعل المباشرة لا غير ويرى نقصان نفسه

وأنه يلحقه غضب سيده إن لم يتفضل عليه فيرجع لسيده بالأدب والبكاء والتضرع والخوف فيرى ذنبه كجبل ساقط عليه ولا محيد له تحته فإنه إن شخصه كالجبل يعينه .¹⁰¹ على الاضطرار لسيده بحيث لا يرى منقذاً له من الجبل إلا إن حنّ له وعليه سيده ورقّ بالصفح وإن استصغر الذنب يعينه على هلاك نفسه لعدم شهود عظمته فإن جرى لك قدر فاحمد الله الذي وفقك له لولاه ما اهتديت له وإن جرى عليك القلم فاخضع لربك وتأدب معه وانسب العمل لك ((المومن يرى ذنوبه كجبل والمنافق يرى ذنوبه كذباب والمومن يرى حسناته كذباب والمنافق يرى حسناته كجبل)).¹⁰² وليس المقصود فيك ألا تعصيه بل عين الأدب السابق فلا ترى لنفسك حولا ولا قوة وإنما ترى في المعصية فعل المباشرة لا غير ففي الحسنه تفتح العين التي لا تنظر إلا فعله وفي المعصية تفتح

¹⁰¹ وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة "بعينه".

¹⁰² الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة

عينك التي لا تنظر إلا فعل نفسك والعبرة بأدب البواطن وإنما يظهر أثره في الظواهر فهذا كيفية المعاملة مع سيّدك وهو أن تعامله بالأدب حال العمل وبعده فإنه إن عملت حسناً ونسبته له وعملت سيئاً ونسبته لنفسك يقل لسان فضله جل وعلا فقلت يا عبدي حسناً ونسبته لي وعملت سيئاً ونسبته لك فهذا أدب عظيم فقد بدلت لك به سيئك حسناً ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾¹⁰³ ولا ترد تبديلاً ولا غيره ولا تبغ إلا ما كتب في رسمك في عنقك فإن النطفة إذا وقعت في الرحم يقابلها الملك الموكل بها حراسة فيقول على سبيل طلب العلم لا غير يا رب نطفة فيقابلها أربعين يوماً حتى تستحيل علقة فيقول يا رب علقة فيراقبها مثله فتستحيل مضغة فيقول يا رب مضغة فيراقبها مثله فتستحيل مخلقة أي مفصلة الأعضاء والعروق والأجزاء فيقول يا رب ما رزقه ما أجله ما مصائبه أذكر أم أنثى فيعلم من قبل الله جل وعلا جميع ما تعلق بأمره فكما

¹⁰³ (70) سورة الفرقان.

يستحيل أن يبدل ما علم الله أنه ذكر فكذلك لا يبدل ما في علم الله الذي علمه الملك من تقادير رزقه وأجله فيكتب الملك جميعه في رسم ويطبعه بخاتم القدر الإلهي فيعلقه في عنق الجنين وهو في بطن أمه فيصحبه الرسم إلى قبره بحيث لا يتبدل شيء منه ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزِمَاتُهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ﴾¹⁰⁴.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾¹⁰⁵. ثم إن الرسم يكتب على حسب اللوح المحفوظ أي رسم تقادير جميع ما كان وما يكون في علم الله على حسب المشيئة الأزلية فاعلم أن الألواح متعددة بتعدد النسخ أم الألواح فأما أم الكتاب أصلها فلا تقبل تبديلا ولا تعليق فيها ولا يطلع عليها إلا من اختصه الله بمحبته وهو نادر والحكم للجل والأواح مختلفة الرقم والشروط متباينة المباني فلا يفهم مطابقتها مع الأصل إلا من رسخ في العلم المومنون بعلم الغيب وبمقتضى الأصل يخبر جبريل عليه السلام جنس الملائكة بأمر الله بما علمه الله إسرافيل وهو شيخه فيه وهو

¹⁰⁴ (13) سورة الإسراء.

¹⁰⁵ (29) سورة ق.

الذي حفظ من الشيطان بالشهب ببركة أهل الوحي لـيلا
يلتبس الوحي بغيره والألواح المتباينة يطلع بعض العارفين كرامة
له ليزيد في علمه بقوة تجليات الأسماء ويركن إلى صحبته وربما
يتخلف وهو الكثير لأنه مكتوب بشروط متعلقة بالأعمال
موافقة للشريعة المطهرة فعمره مثلاً ثلاثون فإن وصل رحمه
فستون وإن تصدق كذلك وقس سائر المروي فيه عليه
والألواح مكتوبة بخط غير معروف بالصناعة إنما يدرك بالفتح
والفتح علق بحساب الزجاجات فمن صفت زجاجته من
الحظوظ العاجلية والآجلة صح فتحه ومن اجتهد مع الحظوظ
يظهر له فتح في صورة برق تارة تنضبط فوائده وتارة لا وهو
في نفسه صحيح مستقيم لكن غيرته الزجاجية كمن أبردت عينه
فيرى صورة واحدة صوراً متعددة فإذا أخبر بأمر يقع فيه
اختلال وبعض صدق فيجب على الإنسان ألا يخبر بمرءى
حتى يحققه ولا يتحقق له حتى يجرد نفسه من الحظ فإذا تجرد
منه وأريد به له الفتح يضبط الحقائق الملكوتية والملكية فإذا
تحقق عبي لسانه عن الإشارة فضلاً عن النطق فالأدب

السكوت وسوءه النطق وهو فتنة على نفسه والناس يسيء
الظنون بأولياء الله عند التخلف ويسوء ظنه بالله فإذا علمته
تعتقد أن العلم كله لسيدك وأن علمك شيء هباء لا أصل له
فكن مثله أي مثل هبائية علمك وعملك وافن عن العلم والعمل
واثبت في حقيقة ربك ونزهه بما تعلمه فعلمه بخلاف علمك
وولايته بخلاف ولايتك فولايته عليك وعلى غيرك أصلية
وولايتك حادثة لها حكم الحدوث والعرض والعرضي لازمه
الانتقال واجمد جموداً كلياً فأنت عبد وإن علمت وعلمت فحد
العبد أن كان مملوكاً لا مزية له إلا باعتبار نسبته لسيدته فإن
كان ولا بد من الإرادة فأرد سيدك وسيدك معك دائماً أبداً
بذاته فتأدب لحضرة السيادة ولا تعترض عليه فيما تعلق بك
وبغيرك فإنه النافذ حكمه في أجزاء ملكه من غير مبالاة بك
وبغيرك فاصمت وكن من الشاكرين لمقام العبودية ولا تتشوف
إلى ما ليس لك من شؤون السيادة وإن ولاك فولايته غير
معتبرة بل تولية العبد على نفسه فإن خانها بسوء الأدب مع
سيدها يرم بنكال العزل والتعزير ولا تثق بحالة ولا تمل لغير

فعل سيدك ولا تعترض لرياسة من أبناء جنسك فإنه وإن
ولاك عليهم فولايته عليك راقبة وعينه لك شاهدة فأحب كل
من ولاه سيدك عليك أو ولاك عليه فإنك مسئول عن الأنفاس
واجعل حضرة سيدك جنتك وأنت فيها حاضراً معه أو غائباً
فإن حضرت فبه وإن غبت عنه فبه بسوء طويتك فسراية
قدره فيك وفي غيرك فشم رائحة الإقبال على مولاك واستقدر
رائحة الإدبار عنه فإنه نجس محض فكل ما حكم الله به في
كتابه بنجاسته إنما هو روائح الإدبار عنه وليست أعيان العالم
بنجسة إلا منه فالمدبر عنه عين النجاسة وأسبابه وسائلها ولا
تعتقد غيره فإن فعل الله أي نوره أظهر أجزاء العالم وحكم
بنجاسة الإدبار وأسبابه ولذا فالعارف لا يرى روائحها ولو في
فضلاتها لاتصاله مع ربه ولذا كانت فضلات الأنبياء أعياناً طيبة
تمزج بالعطر الفاسد فتصيره عديم المثل فتعطر به العرائس
والنجائب فتتقت ورثتهم سنتهم فاعلم أن ما خلقه الله ظاهراً
باعتبار المفعولية مطهرة بفعل الفاعل وإنما حذرنا السيد من
اتباع الهوى وما نشأ عن الهوى من فضلاتنا فسبحانه من رب

عظيم الصنع والعرف ما أجله وما أخفى فعله ولا يشم رائحة فعله إلا من قواه سيده بسلب اختيار عقله وفعله فمن تجمد مع عقله وعوائده لم يشم رائحة فعل سيده فخالط أهل أي فن تريده فلا تصل إليه إلا بهم وإن زعمت أنك ولي أو عالم زمنك فلا بد لك من ناصح يرشدك فإن ضللت بصرك وإن أبصرت أعانك وآنسك فإن فشلت قواك وإن قويت أمدك وأنجذك فإذا فهمت تلويحاتنا فلعله ترشد به فإن رشدت وفطنت وخذقت وأحصنت جمعت ذل العبودية فإذا صفت نفسك أي صفت بالله لا بك من رذيلة الطمع والحظ وأحسننت وجهتك كل الإحسان من غير إرادة شيء مع سيديك بقطع الأماني معه اعتماداً على سيادته قبل وجودك ووجود أبيك آدم عليه السلام معتمداً على فضل السيد وقسمته وسويت بين عينيك كل عبيده بالتفضيل والتعظيم وقطعت النظر عن الطاعة والمعصية وعن المجانسة بالآدمية والحيوانية واستوت عندك دلائل سيديك التي هي مفعولاته لأنه ما من مخلوق إلا ويدلك على سيديك صانعه وما لون لك خلائقه إلا لتسلك إليه على عدد

طرق مخلوقاته فما من مخلوق إلا وهو طريق متصلة بسيدك
فالعارف يسلك قناطر مخلوقات سيده ويرى سيده في كل
شيء ومهما كثرت عنده فتوحات أكوانه اتسعت دلائله وأشرقت
مرآته فيعبد الله عند تراكم الأكوان في قلبه ويتجلى له ما لا
يتجلى له مجرداً من الأكوان فيحصل له عند رؤية أي مفعول ما
لا يحصل للمريد في جميع سلوكه وتنبسط له المعرفة في كل
برج من أبراج رمز سيده لأن كل مخلوق رمز لحضرة سيده
فلا يجوز لك أن تفضل ذرة على غيرها بعقلك لأن المفاعيل
متحدة في سراية الفعل لها خاضعة لسلطان الفاعلية فالنمل
والجماد والآدمي فيه سواء إلا ما فضله السيد فيجب عليك
تفضيله بسيدك لا بعقلك فحكم عقلك إنما يدرك استواء
المفاعيل وأن الفاعل يفعل في ملكه ما يشاء فإذا شاء فاعل
وهو سيدنا إظهار فضله أمرنا بتفضيله وتعظيمه فيجب اعتقاد
فضله ولا تفضله على غيره إلا ما نص عليه السيد فيممثل مع
اعتقاد سر الله في المفعول فإذا ظهرت كمالات الله في مثل
الأنبياء ومن دونهم من الأولياء والملائكة بنص منهم تفضله بالله

ونشرفه على نفوسنا لأنه مفضل بالله وكل ما احتوى عليه من الفضائل فمن كمال الله ونظر فيهم خصوصية سر أسماء الله وكل ما جعله سيدنا واسطة في الإيجاد والإمداد قبلنا وساطته ونظر فيه وجه جلال سيدنا ونحبه ولا نلتفت عن حضرتة بإذن من سيدنا بل نقف بالله لله ونحبه بالله لله ونطواع انفعال سبب الوساطة والفعل كله من الله ونقف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا بأنفسنا وقهر الله أوقفنا في حضرتة صلى الله عليه وسلم في أزاله جل علاه ونكون أضيافاً لله عنده مجردين من الحظوظ معه بحيث لو سألنا صلى الله عليه وسلم عن حوائجنا عنده وعن سبب ملازمة بابه لأجبنا بديهة السيد ألزمننا معك ولو حتم علينا ما أجبنا إلا بأن السيد جعل طاعته أي علق طاعته بطاعتك وجعل رضاه في رضاك وأنت خليفته الأعظم وإن سألنا عن الحظ والسبب نجابوب بأننا في قبضة السيد فأعطاؤه يغني عن تمنينا وفضله غطى طمعنا وإمداده أقنع كل نفس شاهية وإن سألنا عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم نجب بامتثال لأمر سيدنا مع ما طبعنا به من محبتك

فضلاً منه ونحن صبغة الله في أعتابك ملازمين غير منفكين
من حضرتك ما دام الله الذي له البقاء ببقائه جل وعلا ولئن
سألنا شيخ التربية لأجبننا بمثله مع بعث الرسول الأعظم سيد
الكل وأصله إليك وأمرنا بالعكوف لحضرتك وتتحرك بإشارتك
ونسكن بإشارتك فذلك مراد الله فينا ومراد خليفته صلى الله
عليه وسلم وإن سألنا عن المطالب نجب مطالبنا في علم سيدنا
وما كلفك به فاقضه اتباعاً لكناشه جل وعلا ونحن صبغة
حضرتك دائماً والسيد شرفنا بك ونحن عيالك بإشارة الله فإن
الشيخ إذا تحقق ذلك منك يعلم أنك ضيف الله لا غرض لك
فيقوم بواجبات الضيافة والإكرام تعظيماً بحق سيدنا فاسكت
يطلب لك ما لا تعرفه فكل ما جاءك على يديه فاقبله من الله
لا منة فيه ولا دسيسة ولا مكر فكل واشرب والبس بركة
سيدك هنيئاً بما لا حساب بعده وإنما يتبع الحساب نعماً مبنية
على الحظوظ في زعم المنعم عليه فأنت عليه في حضرة القدس
في الحضرات كلها والهج باللهم اقبلني في حضرتك وحضرة
خليفتك وحضرة وليك فأنت سيدي في كلها وفعلك سار في

أجزاء ملكك وأمر خليفتك وخليفته بمحبتتي على وجهك
وأسكنها في قلبي وارسم حقائقها في قلبي في سائر حركاتي
وسكناتي فأنت ربي وربهما. فامتثل أمر الخليفة بأمر خليفته
فإنه ما جعلك سيدك في حجرهما إلا أن تؤدب على يديهما
بأدبهما فإن الله أدب بنفسه خليفته بلا واسطة وأدب خليفة
خليفته بوساطة الخليفة اقتداءً به ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ﴾¹⁰⁶ والأسوة الاقتداء والاتباع فآدابه التي
أدب بها في حضرة سيده والتأدب سبب للأدب والأدب
سبب لبقائك في حضرة سيدك دائماً وسوء الأدب بعدم
الاتباع سبب للمقت وربانا الله جل علاه بمخلوق مثلنا في
المخلوقية وكان مفضلاً علينا بالله فهو من جنس الأجرام
والأعراض الحادثات تفضلاً منه علينا وتسهيلاً لنا طرق أدب
حضرته فقر عيناً إن لبست رداء الصفاء من كدر الحظوظ مع
مولاك ومع خليفته ووليه فإنك ضيف الله حقاً فلا تمل في

حضرتي نبيه ووليه دائماً بل تحب بالله لله ويلحظ مقامك
وتطلب حوائجك بلا بك وتقتضي¹⁰⁷ فعلك وتثبتته على وجه
الانطباع الإلهي في قلبهما وإن جئت من عند نفسك لحضرة
شيخك طالباً منه النجدة والنصر لا غير فإنه ينصرك وجوباً إن
طلبت الحضرة الإلهية ﴿وَأِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ
النُّصْرُ﴾¹⁰⁸ وإن تعلقت به لأغراض نفسك الشهوانية يقل لك
ما جئت إلي إلا لغرض ونحن مجردون من الأغراض لكن
نممكنك منهم بعد حين بشروط ومن طلب حاجته يصبر لمرارتها
حولاً على أخيه حتى تختبر سرائره فإذا قضيت ما جئت له
فاخرج عن حضرته ومن قضى غرضه فليبعد ولا حظاً لك بعد
استيفاء حظك بالتمتع به ولا في البقاء رحم الله من زار وخفف
﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾¹⁰⁹

¹⁰⁷ وردت في الطبعة الأولى بدرج غلف بصيغة "تقض".

¹⁰⁸ (72) سورة الأنفال.

¹⁰⁹ (53) سورة الأحزاب.

فاعرف مقامك من الآية وإنما نزلت فيمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم لطعام أو غيره وأما مثل أبي بكر رضي الله عنه فقد أنفق ما نسبه حظوظاً من الدنيا والروح على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا دخول له في النهي وإذا عرفت ما قررناه فنوصيك بأعتاب الشريعة ولا تخرم حرفاً واحداً منها عمرك كله فإنه سبب السعادة وخلافها الخذلان عليك بالصلاة التي جعلها الله روحاً لعبادته والعبادة سبب ممتثل وجوباً وأكثر من القربات التي ورد بها النص من الشرع امتثالاً ومحبة وشوقاً وقهراً واشكروا الوسائط من الرجال واجعل نفسك تراباً لهم فهم ساداتك ولو بلغت عند سيدك ما بلغت فإنك ما وصلت إلا بهم واجعلهم من نعم الله عليك واشكر ربك برؤية نعمه منه وتعظيمها لك واتبع إشارات الأئمة الناصحين للأمة ولا تستبد برأيك ولو بلغت منتهى ما تعرفه فإنهم أشياخك وآباؤك ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءَهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾¹¹⁰ واتهم

نفسك وزكّ غيرك من الأئمة واقف سننهم ولا تتبع الهوى الذي هو عين الحظوظ فإذا تجردت وتحققت بأنك بحضرة ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾¹¹¹ وأفنيت مراسمك فيها بالله لا بك فاستبق الخيرات وارحم من تبعك ومن لقيته بالدعاء والنصيحة بالسياسة الحسنة القرآنية والهج بذكر ربك وأكثر من الصلاة على حبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أمتة خصوصاً آل بيته وخصوصاً شيخنا منهم والهج بالترضية على الأئمة المجتهدين الهادين وإياك ومفارقة الشريعة وإن ظهر لك كل حقيقة فإنما هي كنوزها وافعل من أنواع المجاهدات أكثر ما يفعله المریدون لأغراضهم محبة في سيدك امتثالاً له ولا تر سبباً فاتحاً وراقب مولاك وشاهده وعاینه معاينة شيخك بمشاهدة سر فعله في جزئيات ملكه واتبع سنة الأئمة في التوحيد وإن تحققت فلا تفارق رأيهم فهو الكنز المستمر الذي لا فناء له والريح الأبدي فنشهد أن لا إله إلا الله

¹¹¹ (16) سورة ق.

وأن محمداً رسول الله ونشهد على أنفسنا بالضعف والجهل
ونبراً من كل كلمة تلبس خلاف السنة فمن وجدها في كتابنا
فليحررها بالتقرير ونحن بريء منها. وكتبه الأحسن بن محمد
بن أبي جماعة البعقيلي السوسي ليلة الإثنين عشرين صفر
الخير عام 1340 سدد الله مذهبه ونفع به آمين.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق
ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله
حق قدره ومقداره العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين.